الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة-

كلية الأدب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

شعبة اللغة العربية والدراسات القرآنية

الرقم الترتيبي: .....

رقم التسجيل: .....

الصورة البيانية في سورة النور

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير

قسم اللغة والدراسات القرآنية

إعداد الطالبة:

عبود حميودة

إشراف الأستاذ الدكتور:

رابح دوب

لجنة المناقشة

المشرف:	أ.د.	رابح دوب
المقرر:	أ.د.	حسن كاتب
العضو:	د.	العلمي لاروي
العضو:	د.	كمال عجالي

تاريخ المناقشة: 08 محرم 1424هـ الموافق لـ: 2003/03/10م

السنة الدراسية: 2003/2002م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا، الرحمان من علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خاتم النبيين المؤيد بمعجزة القرآن الحكيم، قرآنا عربيا لقوم يعلمون وبعد:

إنك وأنت تقرأ القرآن، كل القرآن تجد نفسك مدفوعا وبقوة إلى الوقوف عند كل كلمة، وكلك إعجاب لما للكلمة من حسن ودقة، فإذا نظرت إلى ما قبلها وما بعدها، ازداد إعجابك، وظهرت الرغبة الملحة في البحث عن سر هذا الحسن وهذه الدقة ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ (النور01). فإذا كانت السورة هي جملة الآيات وقد أنزلت، إذن فقد أنزلت الآيات، فلماذا التكرار؟ وهل حقيقة ثمة تكرار؟ أم أن هناك سر؟ وقد حوت سورة النور، الكثير من التوجيهات، بأسلوب الأمر والنهي، وبالترغيب والترهيب حينا، وبالتذكير والتعليم حينا آخر.. ومعظم التوجيهات اتخذت صورة بيانية ما (التشبيه، الاستعارة، الكناية...).

فالصورة البيانية إذن لها أبعاد تشريعية وتربوية، ولم تأت عرضا في النص القرآني، وهذا ما سنبينه من خلال هذا البحث "الصورة البيانية في سورة النور" محاولين الإجابة على هذه الأسئلة: هل للدراسة البيانية للقرآن الكريم في عصرنا جدوى وكثير نفع، في وقت اتجهت الدراسات إلى جانب الإعجاز العلمي والتشريعي خاصة؟ وما دام العلماء قد تحدثوا بإسهاب في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، بما يوحي أنهم أنهوا دراسة القرآن من الناحية البيانية، فما قيمة الدراسة البيانية للقرآن الكريم الآن؟

وقد جعلنا موضوع البحث "الصورة البيانية في سورة النور"، هذه السورة التي تشمل: التشبيه والمجاز والكناية. وتركنا العنوان بهذا العموم ليشمل البحث كل جوانب الصورة البيانية الواردة، ولنترك مجالا واسعا لفهم

ومعرفة سر استخدامها في السورة، وإدراك أبعادها من حيث ورودها بسياق معين.

وقد ظهر لنا من خلال تصفحنا لأهم البحوث التي تناولت الدراسة البيانية للقرآن الكريم، أن بعضها أسهب كثيرا في السور الأولى من القرآن الكريم، حيث يتناول كل الصور البيانية الواردة في السورة، ثم يقل ذلك في معظم السور الأخرى كالزمخشري في الكشاف؛ وبعضها ذكر الصورة البيانية (التشبيه، الاستعارة. . .) ذكرا عابرا، وعند التدقيق لا يذكر أبعادها، مما يجعل الدراسة في هذا الجانب قليلة النفع (تفسير الطبري)؛ والبعض الآخر قد يدقق فيذكر الأبعاد لكنه يركز على جانب دون الجوانب الأخرى للصورة البيانية (الظلال)؛ وبعضهم ركز على استنباط الأحكام الفقهية والعقدية وغيرها استنباطا مباشرا، اعتمادا على القواعد الفقهية، وعند ذكر الجوانب البلاغية (البيانية)، تذكر ذكرا عابرا، بحيث لا يتم الربط بينها وبين الأحكام الواردة (أحكام القرآن للقرطبي، التفسير الكبير للفخر الرازي)، بما يوحي بأن الصورة البيانية الواردة في القرآن لا ترتبط بالأحكام التشريعية والتربوية؛ ولعل تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور من أحسن التفاسير المعاصرة التي تناولت الدراسة البيانية للقرآن الكريم بشكل أوسع، ولأنه يذكر كل المسائل الواردة في السورة فقهية وعقدية وأخلاقية وغير ذلك، فهو لا يفصل كثيرا، ولا يتعمق في ذكر أبعاد الصورة البيانية، ولا يربط بين الصورة البيانية الواردة وبين الأحكام الواردة في كل موضع؛ وهذا لا يعني التقليل من أهمية البحوث السابقة في جانب الدراسة البيانية للقرآن الكريم، بقدر ما يعني أنه لا يزال المجال واسعا أمام الباحثين، ليتناولوا الدراسة البيانية للقرآن الكريم بشكل يضيف معان ومفاهيم أخرى، تكمل الجهود السابقة، وتفتح آفاقا أمام الباحثين في المستقبل، ومحاولة الربط بين كل ما جاء في القرآن الكريم، ومن ذلك الصورة البيانية، والعمل على تفجير الطاقة المخبوءة في التعبير القرآني، وإظهار أبعاد الصورة البيانية، الأبعاد التشريعية والتربوية وغيرها؛ إن البحث في هذا الجانب، وبهذا الشكل، يعطي للعلماء في كل زمان ومكان، القدرة على استنباط معان جديدة مختلفة ومتكاملة ذات صلة بالجانب التشريعي والتربوي.

وهذا ما يساعد كل جيل على حل مشكلاته وبناء حضارته، اعتمادا على القرآن الكريم.

وقد ركزنا على تفسيرين كلاهما مهم "الكشاف" و "التحرير والتنوير" دون إغفال "الظلال"، وطريقة الزمخشري في الكشاف أن يذكر تعريفا قصيرا للسورة ثم يبدأ بتفسير السورة آية آية دون الحديث عن أغراض السورة، ويأتي بمعنى اللفظ ثم معاني الجملة مهتما بالنواحي اللغوية و البلاغية في السورة، بصورة تتفاوت من سورة إلى أخرى، ولعل أكثر السور التي اهتم فيها بالنواحي البلاغية هي سورة البقرة، أما في باقي السور ومنها النور، فقد اكتفى بذكرها في مواضع متفرقة ومع ذلك فهي مهمة. أما طريقة الأستاذ ابن عاشور في التفسير، هو أن يقدم تعريفا موجزا للسورة المراد تفسيرها ثم يذكر أغراض السورة بصورة مجملة، ثم ينتقل إلى التفسير آية آية يقدم معنى اللفظ ثم الجملة، شارحا وناقدا ومرجحا، مهتما بالنواحي اللغوية والأدبية في الآية، مشيرا للصور البلاغية الواردة في الآية، دون إهمال الجوانب الفقهية أو العقدية أو الأخلاقية. لذلك فلا غنى لدارس القرآن عنه، خاصة من الناحية البلاغية. أما سيد قطب في الظلال فهو لا يأتي بتعريف للسورة، وإنما يذكر محاور السورة بصورة مجملة مشيرا إلى الموضوع الأساس فيها، ثم ينتقل إلى تفسير السورة آية آية مهتما أكثر بالجوانب التربوية فيها دون إهمال الجوانب اللغوية و البلاغية ذاكرا دلالاتها التربوية، مركزا على قاعدة التصوير التي يرى أن القرآن اعتمد عليها في الترغيب والترهيب والتذكير والتعليم.

وقد حاولنا قدر طاقتنا أن نأتي بأنواع مختلفة من المصادر والمراجع، اللغوية والأدبية وكتب التفسير والتاريخ والسيرة والحديث، غير أننا لم نركز كثيرا على الكتب الفقهية وإن كانت سورة النور تحوي الكثير من القضايا الفقهية، لأننا في بحثنا حاولنا أن نركز أكثر على الجوانب البلاغية (الصورة البيانية) الواردة في السورة، دون إهمال المسائل الفقهية والعقدية والأخلاقية الواردة فيها .

مبحثين، حيث قدمنا وفي كل موضع وردت فيه كناية أو تعريض بعد ذلك: ثم أنهينا دراستنا بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها بعد دراسة الصورة البيانية في سورة النور .

ومما لاشك فيه أن بحثا كهذا، يتناول الصورة البيانية في سورة كاملة "سورة النور" يتطلب جهدا كبيرا وعملا شاقا، ذلك أن البحث يشمل جوانب عدة منها ما يتعلق بمعاني المفردات، خاصة عند الحديث عن اللفظ المستعار، ومنها ما يتعلق بمعاني العبارة والآية ككل، ومدى تسلسل وترابط المعاني فيما بينها، ومنها ما يتعلق بالصورة البيانية من تشبيه واستعارة وكناية، من حيث حقيقتها، ومن حيث أبعادها، ضف إلى ذلك أن السورة مدنية، تعنى بجانب التشريع في جانب المعاملات، وهي كثيرة في السورة، تشمل الفرد والأسرة والمجتمع، كما تشمل الآداب والأخلاق والحدود، ومسائل أخرى تتعلق بالعبادات والعقائد؛ وهذا يتطلب توسيع دائرة المصادر والمراجع، في اللغة والبلاغة والأدب والتفسير والحديث وغيرها، وقد بذلنا جهدنا – مع قلة الإمكانات ونقص المصادر والمراجع – لنأتي بالأهم منها بما يكفي لإنجاز البحث.

وطريقتنا في البحث أننا وقبل استخراج الصورة البيانية، نأتي بمعاني الألفاظ المهمة في الآية، معتمدين على كتب اللغة الأساسية، ثم نربط بين معاني الألفاظ بما يخدم المعنى العام للآية، ثم نذكر المعنى العام للآية، معتمدين على كتب التفسير، وإذا اقتضى الأمر ذكر سبب النزول، نذكره بالرجوع إلى كتب السيرة والتاريخ، ثم نتحدث بتفصيل عن الصورة البيانية من حيث ماهيتها وأهميتها، وذكر أبرز المعاني التي تحتملها، مع ذكر أقوال العلماء وآرائهم المختلفة، مرجحين لما نراه الأنسب مع التدليل لذلك، وقد نجد حسب دراستنا أن للصورة البيانية أبعاد ذات أهمية، لم تذكر فنذكرها، كما أننا وعند ذكر الأحاديث نعود إلى كتب الحديث كصحيح البخاري. مستفيدين من المناهج التي اعتمدنا عليها في بحثنا .

و في النهاية لا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور رابح دوب الذي أشرف على رسالتي ومنحني الكثير من وقته وأفادني من توجيهاته، كما أشكر الأساتذين الكريمين: د .جمال شوالب، وبوشليحة عبد الوهاب اللذان شجعاني على إتمام البحث كما أشكر الزملاء: يونس، فاتح، نبيل وعبد الكريم الذين ساعدوني على إخراج الرسالة في صورة جيدة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التمهيد :

مفهوم الدراسة البيانية للقرآن الكريم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: معجزة القرآن:

بعث الله تعالى نبيه محمد/صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم رسله، وأيده بالقرآن الكريم فكان القرآن الكريم (كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه وفي علومه وحكمه)[1]. فهو كما وصفه الله تعالى﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]. لقوم يفهمون تفاصيل آياته، ودلائل إعجازه، فإنه في أعلى طبقات البلاغة، ولا يتذوق أسراره إلا من كان عالما بلغة العرب[3].

وما كان اختيار الله تعالى للسان العربي، ليكون وسيلة لتبليغ دينه لعباده إلا عن علم وحكمة، فالعربية أقدر من غيرها على استيعاب المعاني المراد تبليغها. يقول د. أحمد خليل: بهذه اللغة نزل القرآن.. وبهذه السمات الدقيقة المميزة لها جليت بها آياته.. فأكسبها بمعانيه تطورا جديدا كما أكسبها بإعجازه قدرة على التصرف في التعبير واختيار الكلمات ودقة النظم[4]. ويقول ابن كثير: لكن جاءهم من الله، ما لا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز، المحتوي على العلوم الكثيرة والأخبار الصادقة[5] . فبلغة القرآن البليغة حوى القرآن العلوم الكثيرة، وكان القرآن معجزة شكلا ومضمونا، لذلك فلا مناص، لمن رام تفسير القرآن الكريم، لاستنباط معانيه، من معرفة العربية، وقد أحسن النحاة إذ (كانوا من أوائل الدارسين الذين لفتوا إلى الاعتماد على اللغة في التفسير مادام القرآن قد نزل بهذه اللغة للإعجاز) .[6]

فالقرآن الكريم معجز بشكله ومضمونه.. بمبانيه ومعانيه.. يقول د.أحمد خليل: وإنما صار القرآن معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف، مضمنا أصح المعاني.[7] ويقول ابن رشيق: اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل بعضه كان

---

[1] إعجاز القران والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، ص 206، ط9 (1393هـ - 1979م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
[2] فصلت 3.
[3] صفوة التفاسير الشيخ محمد علي الصابوني: ج9، ص115، ط5 (1411 هـ - 1990 م)، شركة الشهاب، الجزائر.
[4] دراسات في القران: د.أحمد خليل،ص43، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان .
[5] مختارات من فضائل القران: ابن كثير، ص18، دار الشهاب، باتنة.
[6] دراسات في القران: د.أحمد خليل، ص43.
[7] المرجع نفسه: د.أحمد خليل، ص168.

نقصا، وكذلك إن ضعف المعنى. واختل بعضه. كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح.[1]

والقرآن الكريم جسم وروح.. لفظ ومعنى صحيح سليم، ولولا ذلك لما كان معجزا.. ولأجل ذلك آمن به وصدق من كان متواضعا سليم الفطرة، ومن كان متكبرا تأثر ولما يؤمن.

يقول الشيخ محمد علي الصابوني : من وجوه إعجاز القرآن ذلك التأثير البالغ الذي أحدثه في قلوب أتباعه وأعدائه، حتى لقد بلغ من شدة التأثير، أن المشركين أنفسهم كانوا يخرجون من جنح الليل يستمعون إلى تلاوة القرآن من المسلمين.. ولقد بلغ من تأثير القرآن في القلوب أن يفيء إلى ظلاله أشد الناس عداوة له، وأعظمهم عنادا، فيسلم كثير من هؤلاء الزعماء، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حظير[2].

ولنقرأ هذه القصة.. قصة رجل من قريش.. عارف بلسان قومه، تأثر بالقرآن بعد أن أدرك أنه معجزة، وأنه تنزيل من حكيم خبير.. وما هو بقول بشر، ولا بقول شيطان رجيم.. لكن التكبر والعناد أعمى بصيرته وأبقاه في حظيرة الضالين المغضوب عليهم من رب العالمين.

روى ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة – وكان سيدا ذا بصيرة ورأي في قومه – قال في نادي قريش: يا معشر قريش: ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ فقالوا: بلى يا أبا الوليد. قم إليه فكلمه. فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي. إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم. فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل يا أبا الوليد أسمع. قال يا ابن أخي: إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا. وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا

---

[1] إعجاز القرآن الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، م1 ص175، ط2(1395هـ-1975م)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
[2] التبيان في علوم القرآن، الشيخ محمد علي الصابوني، ص140، ط3 (1407هـ - 1986م)، مكتبة الرحاب، الجزائر.

حتى لا نقطع أمرا دونك. وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ حم ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. ثم مضى رسول الله في القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[1]. فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكف عن القراءة وذلك خوفا مما تضمنته الآية من تهديد. ثم عاد عتبة إلى أصحابه فلما جلس بينهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة. يا معشر قريش: أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم. فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[2].

فالقرآن معجزة إنه آية من آيات الله الدالة على قدرته وحكمته. (آية من آياته الدالة على قدرته وحكمته.) آية من آياته الدالة على صدق رسوله فيما ادعى من نبوة . . وفيما أخبر عن الغيب. . وصدق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا[3].

ومن دلالات كون القرآن معجزة دالة على صدق نبوة الرسول عليه السلام بقاء القرآن حتى اليوم كما نزل لم يتغير ولم يتبدل وقد توفي محمد عليه السلام. يقول الزرقاني: وهنا نلفت النظر إلى أن القرآن بما اشتمل عليه من المعجزات الكثيرة، قد كتب له الخلود، فلم يذهب بذهاب الأيام ولم يمت بموت الرسول عليه السلام، بل هو قائم

---

[1] فصلت 13.

[2] السيرة النبوية، ابن هشام، ت: طه عبد الرؤوف سعد، م1، ص 131-132، ط3 (1418هـ - 1998م)، دار الحياة، بيروت.

[3] المسند المستخرج على صحيح الامام مسلم، أبو نعيم احمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق الاسبهاني، ت: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، ج1، ص216، ط1 (1996م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

على فم الزمان يحاج كل مكذب، ويتحدى كل متكبر. ويقول محمد نبينا: القرآن معجزة للناس جميعا. ولذلك جاء من نوع آخر غير نوع المعجزات السابقة، وقد جاء للدنيا بعد أن اكتملت المدارك البشرية.. فكانت معجزته تدرك بالعقل ولا تحتاج إلى أي نوع من الحس، فهي معان خالدة، يدرك سموها الإنساني في كل الأجيال. وهي معجزة يخاطب بها الناس جميعا[2].

وقد ثبت إعجاز القرآن الكريم، وثبت أنه من تنزيل إله حكيم، لا من تأليف بشر، ذلك أنه تحدى من كفروا البلغاء و الفصحاء، لكنهم عجزوا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: التحدي و العجز:

ذكرنا فيما سبق أن القرآن معجزة، أيد الله بها رسوله محمدا صلى الله عيه وسلم، وجعلها دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا على صدق نبوته، ولذلك جاء بأسلوب التحدي.. فقد تحدى الله الكفار إنسا وجنا، أن يأتوا بمثل القرآن، أو بمثل بعضه، فإن فعلوا فقد أبطلوا كونه معجزة وكانوا على حق في كفرهم، وإن عجزوا ولم يفعلوا فقد ثبت أنه وحي من الله، لا من كلام بشر، فليؤمنوا من قبل أن يأتيهم يوم يقولون فيه واحسرتنا على ما فرطنا في جنب الله.

يقول الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[3]. يقول سيد قطب: كما أن الروح من الأسرار التي اختص الله بها فالقرآن من صنع الله الذي لا يملك محاكاته، ولا يملك الإنس والجن أن يحاكوها، إنما هو كسائر ما يبدعه الله يعجز المخلوقون أن يصنعوه، هو كالروح من الروح لا يدرك الخلق سره الشامل الكامل، وإن أدركوا بعض أوصافه وخصائصه وآثاره..[4].

---

[1] التبيان في علوم القران: محمد على الصابوني، ص87.
[2] المرجع نفسه: ص89.
[3] الإسراء88.
[4] في ظلال القرآن: سيد قطب م4، ص2250، ط15 (1408هـ - 1988م)، دار الشروق، بيروت، لبنان.

وجاء في "مختصر تفسير الطبري": ﴿لا يأتون بمثله﴾ أي: لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لعجزوا[1].

نعم لقد تحداهم جميعا.. إنسهم وجنهم.. الفصحاء والبلغاء.. الشعراء والخطباء، طول مدة نزول الوحي ثلاث وعشرين سنة، وهو (لم يضرب لهم أجلا للمعارضة، ولم يحدد زمنا للمناقضة حتى يقول قائل منهم: إن الزمن لا يكفي وليس فيه سعة، كما أن القرآن لم ينزل جملة واحدة حتى يحتجوا بذلك، بل نزل مفرقا في ثلاث وعشرين سنة، بين كل مجموعة وأخرى زمن متسع للمعارضة وللإتيان بمثله لو كان في مقدورهم ذلك، فلما عجزوا دل على أنه تنزيل رب العباد، وكفى بذلك دليلا وبرهانا)[2].

لقد تحداهم واستعمل في ذلك لهجة مستفزة، تجعلهم يستنكرون ويسخطون فيقومون فرادى وجماعات ليعارضوا لكنهم لم يفعلوا. يقول الشيخ محمد علي الصابوني: جاءهم بهذا الكتاب المجيد متحديا لهم وهم أئمة الفصاحة وفرسان البلاغة وطلب منهم معارضة القرآن بعبارات قوية، ولهجات واخزة تستفز العزيمة وتدفع إلى المباراة، وتنزل معهم من التحدي بجميع القرآن إلى التحدي بعشر سور مثله، ثم إلى التحدي بسورة واحدة من مثله، وهم في كل هذا واجمون.. أليس هذا أكبر شاهد وبرهان على إعجاز القرآن[3]. ويرى سيد قطب أن مسألة التحدي لم تخضع للترتيب، بالقرآن كله فلما عجزوا تحداهم بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة، وإنما المسالة متعلقة بأن يأتوا بمثل القران من حيث النوع ولو بجزء بسيط لا بالكم في حد ذاته فيقول : لقد سبق أن تحداهم بسورة واحدة في سورة يونس[4]، فما التحدي بعد ذلك بعشر سور[5]؟ قال المفسرون القدامى: إن التحدي كان على الترتيب بالقرآن كله، ثم بعشر سور، ثم بسورة واحدة، ولكن هذا الترتيب ليس عليه الدليل، بل الظاهر أن سورة يونس سابقة والتحدي فيها بسورة واحدة، وسورة هود لاحقة والتحدي فيها بعشر سور..

---

[1] مختصر تفسير الطبري: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني ود. صالح أحمد رضا، م1، ص486، ط 2(1408هـ - 1987م)، مكتبة رحاب، الجزائر.
[2] التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، ص95.
[3] المرجع نفسه، ص90.
[4] الآية المشار اليها في سورة يونس 38.
[5] الآيات المشار اليها في سورة هود: 13-14.

التحدي كان يلاحظ حالة المخاطبين وظروف القول لكن القرآن كان يواجه حالات واقعة محددة موجهة و محددة، فيقول مرة ائتوا بمثل هذا القرآن، أو ائتوا بسورة. أو بعشر سور. دون ترتيب زمني، لأن الغرض كان التحدي في ذاته بالنسبة لأي شيء من هذا القرآن: فالتحدي كان بنوع هذا القرآن لا بمقداره وهكذا فجعهم من طولب بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصد للإتيان بما يوا أو يدانيه واحد من فصحائهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم[1].

لقد بلغ العرب وقت نزول الوحي مبلغا عظيما، من معرفة العربية، الشعراء والخطباء على السواء. و ذلك عجزوا، وهم في حال أحوج ما يكونون إلى إبطال كون القرآن وحي من الله تعالى ومعجزة نبيه محمد ع السلام، بل أنهم لم يحاولوا المعارضة ومن حاول من الحمقى المعارضة جعل نفسه سخرية على مدى التاريخ، زعم مسيلمة أن له قرآنا نزل عليه من السماء ومن أقواله: لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين صفاق وحشى[2]. فأنت كما ترى كلامه واه سخيف.

إذن فقد تحدى الله تعالى الناس كل الناس أن يأتوا بمثله، فعجزوا كلهم وخصوصا العرب الذين نزل فيـ وبينهم.

وهكذا دل عجزهم جميعا مع حرصهم على إبطال دعوى كونه من وحي الله وكون محمد مرسل من عند على أن القرآن معجزة.

ثالثا: الإعجـــــــاز البيانـــــي:

القرآن الكريم معجز بكل ما فيه . . بحروفه وألفاظه وآياته . . بأسلوبه وشكله ومضمونه وإعجازه البيا أظهر ولعله المطلوب من الخلق إنسا وجنا هو هذا، بأن يأتوا بمثل القرآن في أسلوبه ونظمه. قال تعالى: ﴿ قل ل

---

[1] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ج1، ص16، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

[2] تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ج2، ص133، ط1، 1376هـ، المكتبة التجارية بمصر.

كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ..... ﴾[1] ومعنى الآية: فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم. فإذا عجزوا عن الإتيان بمثله في البيان باستخدام التشبيه والمجاز والكناية وغيرها، في مكانها المناسب لتبليغ معان صحيحة مختلفة ومتكاملة، فهم بلا شك عن الإتيان بمنهج حياة كامل متكامل أعجز. فالقرآن كما رأينا من قبل معجز بكل ما فيه. فالإعجاز إذن كذلك يأتي (من دقة التصور المعنوي، والإبداع في تكوين الخطاب، ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة، واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه البيان أو يسوق إليها من طرائق المعاني)[3].

يقول أحمد خليل: النص القرآني ليس نصا دينيا فقط وإنما هو إلى ذلك نص أدبي معجز[4]. ويقول الباقلاني: وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير وهي غرة جميعه وواسطة عقده والمنادي على نفسه بتميزه وتخصصه[5].

نعم إن للمعاني التي تضمنها القرآن الكريم - كذلك المتعلقة بكمال الله وجلاله وعظمته، وتلك المتعلقة بالجنة ونعيمها والنار وآلامها - تأثير في النفوس.. خاصة أولئك الذين آمنوا من العرب حين سمعوا القرآن أول مرة، غير أن هذا التأثير ليس بمنأى عن التأثير ببيان القرآن وأسلوبه الراقي، فقد (نزل القرآن على نحو خاص لم يكن يعرفه العرب ومن هنا كان دهشتهم لسماعه، ومن كان فيهم بصيرا بأصول البيان شديد المراس به قوي الإحساس بفعله في النفس وإثارته لها سارع إلى الإسلام)[6].

ولعل القول بأن التحدي لم يكن إلا في مسألة "النظم" الأسلوب البلاغي ودقة التأليف، ووجوه البيان التي استخدمها القرآن الكريم هو الأرجح، لأنه إذا ثبت عجزهم عن الإتيان بمثل هذا، فهم أعجز من أن يأتوا بمثل

---

[1] البقرة 24/23.
[2] تفسير الكشاف: ج1، ص50.
[3] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص223.
[4] دراسات في القرآن: د. أحمد خليل، ص 158.
[5] إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ت: احمد صقر، ص42، ط3، دار المعارف، مصر.
[6] - المصدر نفسه: ص150.

معاني القرآن صحة وكثرة وتنوعا وتكاملا. ولهذا رد الخطابي الإعجاز كله إلى الفنية في النظم حيث يقول(واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظم التأليف مضمنا أحسن المعاني)[1].

وإذا كان الإعجاز البياني أحد أوجه الإعجاز القرآني بل وأهمها، فإن التوجه بالبحث والدراسة في بيان القرآن لا غنى لأحد يطلب استنباط معاني القرآن الكريم، وعلى الأقل المتخصصين في الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم، أو من رام تفسير كتاب الله.

رابعا: علم البيان:

من الضروري أن نتحدث – بما يفي بالغرض– عن بعض القضايا المتعلقة بعلم البيان، مادامت الدراسة تخص الصورة البيانية لسورة النور. . دون أن نتعرض للتفاصيل فإن ذلك مبسوط في كتب البلاغة، ولا فائدة ها هنا أن نذكر التفاصيل.

اتفق علماء التفسير على أنه لا يتصدى لتفسير القرآن الكريم إلا من أجاد بجملة من العلوم وإن اختلفوا في بعضها. يقول الإمام الزمخشري: لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان[2]. ويقول أبو هلال العسكري: وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف[3].

ويقول الجرجاني:ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا وأسبق فرعا وأحلى جنى، وأعذب وردا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلي[4].

---

[1] بيان إعجاز القرآن: الإمام أبو سليمان محمد بن احمد بن ابراهيم الخطابي (ت 388 هـ)، شرح وتعليق: عبد الله الصديق: ص29، ط1، (1372 هـ)، دار الفكر بيروت.
[2] الكشاف ج1 ص16.
[3] الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ) ـ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص 07، ط02، دار الفكر العربي، بيروت.
[4] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، بحث وتقديم علي أبو زيقية، ص19، موفم للنشر، لبنان.

وعلم البيان في اصطلاح البلاغيين هو الفعل الذي يتم به (التصرف في فنون القول وضروبه للتعبير عن الفكرة التي يراد أداؤها)[1].

إن فهم القرآن الكريم يتوقف أساسا على فهم العربية وكيف يفهم القرآن العربي من جهل أساليب العرب في الخطاب؟ فالقرآن (كتاب عربي يخضع للأساليب العربية في الفهم، لابد أن يفهم القرآن من خلال معهود العرب في الخطاب ومن دلالات الألفاظ كما كانت عند العرب، فكما تشرح أي قصيدة شعرية: الكلمات، والمجاز، والاستعارة، والكناية، كل هذا يبقى في نطاق الاصطلاحات العربية لا تخرج عليها)[2]. ويقول الإمام مالك: لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب، يفسر كتاب الله، إلا جعلته نكالا[3]. ومثله قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب[4]. والكلام في (علم البيان) يشمل الكلام في التشبيه والمجاز والكناية ذلك أن علم البيان (علم يبحث عن التشبيه والمجاز والكناية)[5]

1: التشبيه: وهو (ليس عنصرا إضافيا في الجملة ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه، والتشبيه يأتي ضرورة في الجملة يتطلبه المعنى ليصبح قويا)[6]. كما أن التشبيه في القرآن(يستعمل بهدف التأثير في العاطفة فترغب أو ترهب)[7]. وقد اتفق (العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به – لا سيما قسم التمثيل منه– يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا أو غير ذلك[8]. ويرى الإمام الخطيب أن أسباب بلاغة التشبيه ترجع إلى: أ/ ما يحصل للنفس من الأنس بإخراجها من خفي إلى جلي كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته. ب/ أو مما تعلمه إلى ما هي به أعلم، كالانتقال من المعقول إلى المحسوس، فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه

---

[1] دراسات في القرآن: د. أحمدخليل، ص28.
[2] كيف نتعامل مع القرآن: الشيخ محمد الغزالي، ص196، ... دار نهضة، الجزائر.
[3] التبيان في علوم القرآن: محمد علي الصابوني، ص158.
[4] المرجع نفسه: محمد علي الصابوني، ص158.
[5] البيان في ضوء أساليب القرآن: د. عبد الفتاح لاشين، ص17 ط (1985م)، دار المعارف القاهرة مصر.
[6] التعبير الفني في القرآن: د. بكري الشيخ امين ص194، ط4 (1400 هـ - 1980م)، دار الشروق، بيروت.
[7] المرجع نفسه: ص195.
[8] الإيضاح في علوم البلاغة: الإمام الخطيب القزويني ... محمد عبد المنعم خفاجي ج 1، ص329، ط5 (1400 هـ - 1980م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت

وتبالغ. جـ/ ومنه: أن يأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدة[1]. فالتشبيه يستعمل لتحقيق جملة مقاصد أو أغراض والتي منها: 01- بيان صفة المشبه 02- تقرير صفة المشبه. 03- بيان مقدار صفة المشبه من الزيادة أو النقصان أو القوة أو الضعف 04- بيان إمكان وجود المشبه. 05- تزيين المشبه 06- تقبيح المشبه 7- استطراف المشبه.

2: المجاز: الكلام نوعان: مجاز وحقيقة، وقد اختلف المسلمون في القول بوجود المجاز في القرآن الكريم، أما المعتزلة فقد اختاروه وتوسعوا فيه، ورأوا فيه ضرورة تعبيرية، في حين وقف أهل السنة موقفا حذرا، وتحرج آخرون فنفوا المجاز من أصله في القرآن، واعتبروا كل شيء ورد فيه على الحقيقة، فيد الله هي يد الحقيقة ولكن لا يدرى كنهها. وهناك فريق وسط من أهل السنة لم يرفضوا المجاز جملة، ولم يقبلوا به جملة، فقالوا: إن المجاز في القرآن واقع وهو جائز، لأنه من مستلزمات التعبير، وأسلوب من أساليب العرب (ابن قتيبة)[2].

والمجاز في اصطلاح البيانيين: الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة بين المعنى الموضوع له والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له. وهو قسمان:

أ- المجاز العقلي: فيكون المجاز في الإسناد فقط، ليس في الفعل ولا في الفاعل.

ب- المجاز اللغوي: يكون المجاز في اللفظ (الكلمة) أو في الإفراد، بحيث يستعمل اللفظ في غير ما وضع له[3].

والكلام في المجاز يكون خاصة في الاستعارة والمجاز المرسل.

*: **المجاز المرسل:** وهو ما كانت العلاقة فيه – بين المعنى الموضوع له اللفظ والمعنى المستعمل فيه – غير المشابهة.. وأهم علاقاته: السببية – المسببية – الكلية – الجزئية – اعتبار مايكون – اعتبار ماكان

[1] الإيضاح في علوم البلاغة: ج1، ص331.
[2] التعبير الفني في القرآن: بكري الشيخ أمين، ص161.
[3] البيان في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، ص139-141.

– المحلية– الحالية الآلية – الاشتقاق – المجاورة.[1] . وللمجاز أغراض شتى منها: – تأكيد المعنى المجازي المراد وتقريره في النفوس لما فيه من دعوى الشيء بالبينة والبرهان. – تصويره للمعنى المجازي المراد خير تصوير وأدقه.

– تأدية المعنى المجازي المراد بألفاظ أقل مما تؤديه الحقيقة وذلك في الغالب[2]

***: الاستعارة:** وهي نقل اللفظ من معنى عرف به في اللغة إلى معنى آخر لم يعرف، يقول أبو هلال العسكري : الاستعارة هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض[3]. . وهي نوعان:

– **الاستعارة التصريحية:** اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

– **الاستعارة بالكناية:** هي لفظ المشبه به المحذوف المستعار في النفس للمشبه المدلول عليه بإثبات شيء من لوازمه للمشبه، وكل استعارة مكنية قرينتها استعارة تخييلية[4]. ومما لاشك فيه أن استخدام الاستعارة القرآنية يرجع إلى 1 /– استخدام الألفاظ الموضوعة للدلالة على الأمور الحسية في الدلالة على الأمور المعنوية فتصبح بذلك الثانية محسوسة ملموسة 2 /– اختيار الألفاظ المتناسقة والمؤتلفة مع بعضها البعض ومع معانيها[5].

وللاستعارة محاسن وفضائل جمة ومنها أنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له بعد الفضل فضلا، و إنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد وفضيلة مرموقة .. ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ[6] جاء في "الصناعتين": ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن مالا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا[7].

3 : الكناية: و الكناية (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى

---

[1] البيان في ضوء أساليب القرآن : ص141-149 .
[2] المرجع نفسه :عبد الفتاح لاشين ،ص157.
[3] الصناعتين: ص274.
[4] البيان في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، ص217.
[5] التعبير الفني في القرآن: بكري الشيخ أمين، ص199 .
[6] أسرار البلاغة :الإمام عبد القاهر الجرجاني، ت: محمد الفاضلي، ص36-37 ، ط1 (1419هـ - 1989م)، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.
[7] الصناعتين: ص274.

معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك هو طويل النجاد يريدون طول القامة[1].

والكناية القرآنية تقوم (بنصيبها كاملا في أداء المعاني وتصورها خير أداء . وهي حينا راسمة مصورة موحية، وحينا موجزة تنقل المعنى كما أدته الكناية في المواضع التي وردت فيها الكناية القرآنية[2]. ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[3].

والحديث عن الكناية يأخذ إلى الحديث في التعريض. .

التعريض: هو المعنى الحاصل عند اللفظ به. . فالتعريض حاصل بغير اللفظ وهو السياق والقرائن. .[4]

والفرق بين الكناية والتعريض: *- أن الكناية واقعة في المجاز ومعدودة منه، بخلاف التعريض، فلا يعد منه، لأن التعريض مفهوم من جهة السياق والمفهوم، فلا تعلق له باللفظ، لا من جهة حقيقته ولا من جهة مجازه.

- الكناية تقع في اللفظ المفرد والألفاظ المركبة، بخلاف التعريض فإنه لا موقع له في اللفظ المفرد .

-- التعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ ، بخلاف التعريض فإنما دلالته من جهة القرينة والإشارة ولا شك أن كل ما كان اللفظ يدل عليه فهو أوضح[5].

والكناية كما التعريض، كل منها يؤدي معان بليغة، لا تؤدى بالأسلوب الحقيقي الصريح وذلك:

-بلاغة الكناية تتمثل في أنها تعرض المعنى مصحوبا بالدليل ومقرونا بالبرهان، فبذلك تكون أبلغ من التصريح.

-كذلك يحس السامع لأسلوب الكناية جمالاً، ويجد لها أثرا لا يجده للتعبير الصريح، وذلك لأن الكناية تعرض المعنى مصورا بصورة محسوسة فيزداد تعريفا ووضوحا .

[1] البيان في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، ص217.
[2] التعبير الفني في القرآن: بكري الشيخ أمين، ص201 .
[3] الحجرات 12.
[4] البيان في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، ص272 .
[5] المرجع نفسه : عبد الفتاح لاشين، ص278.

-والتعريض له أثر بليغ في النفوس لأنه يعين صاحبه على إخفاء ما يريد، من عتاب أو نقد أو سؤال أو شكاية حتى لا يفهم مراده إلا من يقصده بالتعريض، لما علم من أن التعريض إنما يفهم من أحوال خارجة عن اللفظ – لا من اللفظ – وهذه الأحوال قد تكون معلومة للمقصود بالكلام دون بقية الحاضرين ويقول القزويني: أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أجمل من التصريح بالتشبيه[1]. ويقول السكاكي: واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر[2].

ومما يجدر ذكره أن استعمال التشبيه أو المجاز أو الكناية في القرآن لا يكون إلا في موضعه، ولا شيء غير ذلك يكون عنه بديلا، ولولا هذا ما كان القرآن معجزة، بالإضافة إلى صحة المعاني وحكمة التشريع فلا (استعارة ولا مجاز ولا كناية ولا شيء من مثل هذا يصح في الجواز وفيما يسعه إلا ما كان أن يصلح غيره في موضعه إذا تبدلته منه فضلا عن أن يفي به وفضلا عن أن يربى عليه، ولو أدرت اللغة كلها عن هذا الموضع)[3].

فالقرآن الكريم آياته فصلت من لدن عليم خبير.. كل شيء موضوع في مكانه، ليؤدي معنى واضحا مهما، وهذا ما أعجز البلغاء أن يأتوا بمثله.

خامسا: الدراسة البيانية للقرآن الكريم:

القرآن الكريم كتاب هداية.. إنه منهج حياة، ومتى أعرض الناس عنه أفرادا أو مجتمعات، حصل لهم من الضنك بقدر هذا الإعراض ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[4].

والقرآن الكريم هو الذي أخرج للبشرية أمة، كانت خير أمة أخرجت للناس، ومن عرف العرب خاصة قبل نزول القرآن، ثم درس حياة من آمن منهم بعد الاهتداء بهديه، أدرك الحقيقة..

---

[1] البيان في ضوء أساليب القرآن: ص281.

[2] مفتاح العلوم: الإمام أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626) هـ)، ت و ضبط: نعيم زرزور، ص412، ط2 (1407هـ-1987م)، دار الكتب العلمية بيروت.

[3] إعجاز القرآن و البلاغة النبوية: ص210.

[4] طه 124.

والقرآن الكريم لا يزال كما أنزل من أوله إلى آخره . . حرفا ولفظا . . شكلا ومضمونا . ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

ولئن كثرت المشكلات في عالمنا اليوم، وعمت الفتن، فإن القرآن قد حوى الحلول، وإنما الأمر بحاجة إلى دراسة من قبل الباحثين والدارسين قصد الكشف عن المعاني التي تعطي للإنسان التصور الصحيح والحل الصحيح.

ولقد رأينا من قبل أن لا غنى لمفسر القرآن ودارسه من فهم لغته التي نزل بها، ومن ذلك الدراسة البيانية، هذه الدراسة التي تبقى على مر الزمان مهمة وضرورية، ذلك أن هذه اللغة أكسبها الله طاقة عظيمة تمد كل دارس وباحث بما يريد في كل عصر، بما يناسب متطلبات حياة المسلم. يقول أحمد خليل: وإذا كانت البلاغة قد تركت ميدان الإعجاز إلى الأدب فإنها ظلت كما قلت ذات أثر واضح في عملية التفسير من ناحيتين:

أولهما: إمداد المشرعين بوسائل تعينهم على توسيع أفق النص بحيث يصبح متحكما في سير الحياة.

ثانيهما: البحث الدائم عن وجوه الإعجاز، فإن الطاقة الأدبية المعجزة لا يكاد يحدها عصر ولا ترتبط بزمن[2].

وإذا كان (النص القرآني ليس نصا دينيا فقط وإنما هو إلى ذلك نص معجز)[3]، هذا الإعجاز– البلاغي – ما كان كذلك إلا لأنه استعمل في القرآن على نحو يمكن من إعطاء معان تشريعية كاملة ومتكاملة ومتجددة بتجدد حياة الإنسان.

لذلك نجد على مر العصور العلماء يهتمون بدراسة لغة القرآن بما في ذلك الدراسات البيانية. . فإنه أحيانا (تكون الألفاظ في اختلاف بعض صورها مما يتهيأ معه استنباط حكم أو تحقيق معنى من معاني الشريعة)[4].

---

[1] الحجر 9.
[2] دراسات في القرآن د. أحمد خليل، ص (59)
[3] المرجع نفسه ص(60)
[4] أصول الفقه الإسلامي

هذه الدراسة – البيانية – التي تجلي لأصحابها حقيقة إعجاز القرآن، فيؤمنوا ويزيدهم الله هدى، لأن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام، مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في اتقانها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه)[1]. يقول الشيخ محمد رشيد رضا: التفسير له وجوه شتى (أحدها): النظر في أساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من أنواع البلاغة ليعرف به علو الكلام وامتيازه على غيره من القول[2].

صحيح أن الصحابة رضوان الله عليهم، لم يعتمدوا كثيرا في استنباط معاني القرآن على الدراسة اللغوية للقرآن – نحوا أو بلاغة – غير أن هذا لا يعني عدم اهتمامهم بالدراسة اللغوية عموما ومنها الدراسة البيانية، بل أنهم لم يفعلوا ذلك لاستغنائهم عنها، لفهم لغة القرآن فهما كاملا دقيقا، ولقرب عهدهم بالنبي عليه السلام، الذي كان يعطي المعنى المقصود للآية المنزلة، بل ويطبق ذلك على أرض الواقع.

أما الذين جاءوا من بعدهم وخصوصا بعد اتساع رقعة الإسلام، وكثرة المسلمين، ومع كثرتهم فقليل منهم يفهمون لغة القرآن الكريم، وخاصة من غير العرب. . ضف إلى ذلك ما حدث للناس من أقضية ومشكلات فكرية وتشريعية، أدت إلى الاختلاف بين العلماء في إصدار الأحكام وتقديم الحلول هذا الاختلاف أدى بكل فريق إلى الرجوع إلى القرآن الكريم وخاصة إلى لغته، ليؤكد فكرته ومذهبه.

يقول الرافعي: وقد رأينا في (كشف الظنون) أن شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي (ت743 هـ) وضع شرحا على الكشاف في ست مجلدات ضخمة، وأكثر فيها من إيراد النكت البيانية وكانت أكثر ما جاءت به. حيث شرح فيه كتاب الزمخشري وتتبع ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيفها وبين أن البلاغة إنما تقع في

---

1 (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص47.)

2 المقدمة عند تفسير جزء عم، ص552 من المنار.

الآية على ما يراه أهل السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة، فتأمل كيف تتصرف بلاغة القرآن مع أهل السنة والمعتزلة مجاذبة ودفعا فإنه معنى عجيب[1].

وممن اهتموا بالدراسة البيانية للقرآن الكريم "ضياء الدين" يقول الرافعي: كان أحد العلماء "ضياء الدين" يختم القرآن مرة كل أسبوع ليبلغ به ثم نظر فجعل يقرؤه المرة في الشهر، ثم أبعد في النظر فكان يختمه في سنة، ثم أمعن فقال: إنه قطع سبع سنين ولما يفرغ منه ولا أتى على الغاية من تدبر ما فيه ممن البلاغة المستكنة في كلمه وحروفه.. مع أنه لا يبحث منها إلا في الصناعة البيانية وحدها دون أسرار التركيب الأخرى من علمية واجتماعية[2].

وممن اهتموا بالدراسة البلاغية للقرآن ومنها "البيانية" الجاحظ حيث يقول:بالبيان عرف الناس القرآن[3]. وللجاحظ كتاب "نظم القرآن". ومثله الباقلاني وله إعجاز القرآن. كذلك الخطابي له كتاب "البيان في إعجاز القرآن" ولعل أكثر العلماء اهتماما بالدراسة البيانية للقرآن الكريم الزمخشري في تفسيره الكشاف. يقول ابن خلدون: ظهر جار الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع آي القرآن بأحكام هذا الفن بما يبدي البعض من إعجازه، فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير[4]. وقبله عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" خاصة. أما من المعاصرين "سيد قطب" في تفسيره "الظلال" وفي بعض كتبه منها " مشاهد القيامة " و "التصوير الفني في القرآن".

ومنهم: د.عائشة عبد الرحمن في "التفسير البياني للقرآن الكريم"، تقول: والأمر كذلك فيما يهدي إليه الاستقراء في وجوه بيانية وظواهر أسلوبية، نقدمها منه دون أن نخشى فيها مخالفة لبعض قواعد النحويين وأحكام البلاغيين لأن الأصل أن تعرض قواعدهم وأحكامهم على البيان الأعلى لا أن نعرض القرآن عليها ونخضعه لها[5].

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص245.
[2] المرجع نفسه: ص254.
[3] الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج1، ص46، ط3 (1388 هـ - 1969م)، دار المعرفة، بيروت.
[4] المقدمة ص553.
[5] التفسير البياني للقرآن الكريم د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ج2، ص08، ط2 (1338هـ - 1968م)، دار المعارف، مصر.

ومنهم: محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير"، والرافعي في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، ولم يختلف الرافعي في بحثه عن الجاحظ الذي ذكر أن الإعجاز كامن في نظم القرآن[1].

وما كان اهتمام هؤلاء وغيرهم من العلماء والدارسين، ليهتموا بدراسة القرآن بيانيا، إلا لأن ذلك ضروري، لفهم النص القرآني فهما دقيقا، واستنباط الأحكام الشرعية استنباطا صحيحا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] التعبير الفني في القرآن:بكري شيخ أمين، ص185.

المدخل:

التعريف بسورة النور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من الضروري أن نقدم تعريفا ولو بإيجاز حول سورة النور، قبل البحث في الصورة البيانية، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولا التسمية:

سميت هذه السورة بسورة النور، وهذا الاسم هو الوحيد لهذه السورة، وقد سميت بذلك لوجود آية النور ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[1]. يقول الأستاذ المودودي: اسم هذه السورة مأخوذ من قوله تعالى ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾[2]. وقيل سميت بذلك لما (فيها من إشعاعات النور الرباني بتشريع الأحكام والآداب، والفضائل الإنسانية التي هي قبس من نور الله على عباده)[3].

ولا تناقض بين القولين، بل هما متكاملان، إذ من معاني آية النور ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أن الله هادي أهل السموات والأرض ومرشدهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، وإنما يكون الإرشاد عن طريق الأحكام القرآنية ومنها ما ورد في سورة النور.

ثانيا: مكية أم مدنية :

سورة النور مدنية قال القرطبي: مدنية بالإجماع وهي السورة المائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد الأحزاب، روى ذلك عن ابن عباس وآياتها اثنتان وستون في عد مصاحف المدينة ومكة، وأربع وستون في عد البقية[4]. ويؤيد هذا ابن الجوزي فيقول: وهي مدنية كلها بإجماعهم[5]. وهي من حيث الترتيب في المصحف تأت بعد سورة المؤمنون وهي مكية وآياتها (77) آية.

---

[1] النور 35.
[2] تفسير سورة النور : أبو الأعلى المودودي، ص7، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.
[3] صفوة التفاسير :الشيخ محمد علي الصابوني ، م2، ص324، قصر الكتاب، الجزائر.
[4] التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، ج18، ص139، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
[5] زاد المسير في علم التفسير : الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي، ج6، ص03، ط3 (1404هـ - 1984م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ثالثا: فضلها:

كتب عمر رضي الله عنه إلى أهل الكوفة: علموا نساءكم سورة النور[1].

وإنما فعل عمر رضي الله عنه ذلك، لما في هذه السورة من توجيهات هامة، تصلح بها الأسرة المسلمة ثم المجتمع المسلم.

رابعا: سبب نزولها:

في هذه السورة أسباب نزول متعددة لجملة من الآيات، والسبب الأول لنزول هذه السورة هو تبرئة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مما رماها به المنافقون.

يقول الأستاذ المودودي: من المجمع عليه أن هذه السورة نزلت بعد غزوة بني المصطلق، ومما يظهر من بيان القرآن نفسه أنها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك من المنافقين[2].

روى البخاري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها[3] فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب فأنا أجعل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي (من جزع[4] ظفار[5]) قد انقطع فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ كان خفافا لم يثقلهم اللحم إنما تأكل العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة

[1] روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد علي الصابوني، ج2، ص6،مكتبة رحاب، الجزائر.
[2] تفسير سورة النور: المودودي، ص7.
[3] هي غزوة بني المصطلق
[4] جزع: الجزع اليماني وحدته جزعة.
[5] ظفار: اسم مدينة لحمير باليمن.

الهودج حين رفعوه (وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان ابن المعطل السلمي من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت[1] وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطء على يديها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين[2] في نحر الظهيرة فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي سلول. فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك (لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت فخرجت معي أم مسطح قبل لمناصح وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف [3] قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم ابن عبد مناف وأمها بنت صخر ابن عامر خالت أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت تسبين رجلا شهد بدرا قالت أي هنتاه[4] أولم تسمعي ما قال قلت وما قال قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم نعني سلم ثم قال: كيف تيكم فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي قالت و أنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلها قالت فأذن رسول

[1] خمرت: سترت.
[2] داخلين في شدة الحر.
[3] الكنف: ج كنيف: مكان التبرز.
[4] هنتاه: ياهذه.

الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي يا أمتاه ما يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ[1] لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي [2] يستأمرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد فقد أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك قالت بريرة لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا فأغمصه [3] عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فأتى الداجن[4] فتأكله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر[5] يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتثاور [6] الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا و رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] لا يرقأ: لا يسكن و لا ينقطع.
[2] تأخر نزوله.
[3] أغمصه: أعيبه.
[4] الداجن: هي الشاة التي تقتنى في البيت.
[5] فاستعذر: أي طلب من ينصفه
[6] فتثاور: من الثورة

يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع يضنان أن البكاء فالق كبدي قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني قالت: فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت [1] بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إن اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي [2] حتى ما أحس منه قطرا فقلت لأبي أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال، قال والله ما أدري ما أقول يا رسول الله فقلت لأمي أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن إني والله لقد علمت لقد سمعت هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمري والله يعلم أني بريئة لتصدقوني بذلك والله ما أجد لكم إلا قول أبي يوسف قَالَ ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي قالت وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزلا في شأني وحي يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم في شأني قرآنا يتلى ولكن كنت أرجوا أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فو الله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء [3] حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان [4]

[1] ألممت أي وقع منك على خلاف العادة
[2] قلص دمعي: أي ارتفع.
[3] البرحاء: هي شدة الحمى.
[4] الجمان اللؤلؤ.

من العرق وهو يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه قالت فلما سري[1] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرّي عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها يا عائشة برأك فقات أمي قومي إليه قالت: فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل. وأنزل الله:« إِنَّ الذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. . . »[2].

خامسا: علاقة السورة بما قبلها وما بعدها:

سورة "المؤمنون" جاءت قبل سورة "النور" وهي مكية وآياتها مائة وتسعة عشر آية، وقد ختمت بقوله تعالى: " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون"[3]. فالله تعالى (ختم سورة المؤمنون بأنه لم يخلق الخلق للعبث بل للأمر والنهي وابتدأ هذه السورة "النور" بذكر الأمر والنهي وبيان الشرائع فقال: "سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون")[4].

وكذلك رأي الطبرسي حيث يقول: إنه تعالى لما ذكر فيما تقدم أنه لم يخلق الخلق للعبث بل للأمر والنهي ذكر جل وعلا ههنا جملة من الأوامر والنواهي[5].

وقال الألوسي: وجه اتصالها بسورة المؤمنون أنه سبحانه لما قال فيها "والذين هم لفروجهم حافظون"[6] ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزاني وما اتصل بذلك من شأن القذف وقصة الإفك والأمر بغض البصر الذي هو داعية الزنا والاستئذان الذي إنما جعل من أجل النظر وأمر فيها بالإنكاح حفظا للفرج وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف ونهر عن إكراه الفتيات على الزنا[7].

---

[1] سرّي: كشف.
[2] صحيح البخاري: الإمام عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، م4، ج6، ص186-192، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
[3] المؤمنون 116.
[4] مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبريسي، م5، ج(19و20)، ص06، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
[5] تفسير روح المعاني: الشيخ أبو الفضل محمود الألوسي، م6، ج18، ص74، دار الفكر، بيروت، لبنان.
[6] المؤمنون 6
[7] تفسير روح المعاني: م6، ج18، ص74.

أما سورة "الفرقان" فقد جاءت بعد سورة "النور" وآياتها (77) سبع وسبعون وهي مكية وقد (اتصلت هذه السورة بسورة النور اتصال النظير بالنظير فإن مختتم تلك السورة تتضمن أن لله ما في السموات والأرض وأنه بكل شيء عليم ومفتتح هذه السورة أنه له ملك السموات والأرض سبحانه من قدير حكيم)[1].

سادسا: أغراض السورة:

1- الموضوع الأساس في السورة:

الغرض الأساس الذي تناولته هذه السورة، الأسرة من حيث وسائل الوقاية من الانحراف، ومن حيث علاج المشكلات الواقعة والتي تسبب الفساد وتلحق الهلاك.. ففي الزنا خطر على الأسرة، لذلك وضعت العقوبة: "الزانية والزاني فاجلدوا.."[2]، وفي القذف تدمير للأسرة كذلك، فكانت العقوبة: "والذين يرمون المحصنات.. فاجلدوهم ثمانين جلدة"[3].

ولما كان في الإشاعة بما يطعن في الشرف والعرض ويخرب الأسرة، كان من الله الوعيد الشديد لمن خاضوا في الإفك عن أم المؤمنين عائشة "تحسبونه هينا وهو عند الله عظيم.."[4]، و"يعظكم الله أن تعودوا لمثله"[5].

ولحماية الأسرة كان الأمر بالاستئذان قبل الدخول إلى البيوت، وكان الأمر بغض البصر وحفظ الفروج، وكان الأمر بستر المرأة لزينتها أمام غير محارمها.. وكان الأمر بتسهيل أمر الزواج للأيامى.

وقد ذكرت مسائل تتعلق بالعقيدة والعبادات.. ولا شك أن لذلك دخل في حفظ الأسرة من الوقوع فيما يفسدها ويدمرها.. وهل يقوي أركان الأسرة غير توحيد الله وذكره والصلاة له؟ ولماذا كان الموضوع الأساس في السورة الأسرة؟ ذلك لأن الأسرة هي الخلية التي يتكون منها المجتمع، وهل يصلح مجتمع من غير صلاح الأسرة؟

---

[1] مجمع البيان في تفسير القرآن: م5، ص83.
[2] النور 02.
[3] النور 04.
[4] النور 15.
[5] النور 17.

2- أغراض أخرى :

بعد ذكر الموضوع الأساس للسورة، والحديث باختصار عن مقدمة السورة، نورد هنا أغراضا أخرى حوتها السورة.

أ-عقوبات وحدود:

- حد الزنا :

غير المحصن مئة جلدة أما المحصن فالرجم وهو رأي الجمهور وقد ثبت ذلك عن عمر بن الخطاب[1].

- حد القذف (ثمانين جلدة):

فمن قذف مسلمة عفيفة بالزنا يجلد أما من قذف غير العفيف (لا يحد حد القذف، وذلك فيما إذا كان الشخص معروفا بفجوره واشتهر بالمجون)[2].

- قذف الزوجات (الملاعنة والفصل):

فالزوجان إذا قذف أحدهما الآخر يتلاعنان كما هو مبين في كتب الفقه ثم يفرق بينهما، روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلا رمى امرأته فانتفى من ولدها في زمان رسول الله عليه السلام فأمر بهما رسول الله عليه السلام فتلاعنا كما قال الله ثم قضى بالولد للمرأة وفرق بين المتلاعنين[3].

ب- قصة الإفك وتبرئة عائشة رضي الله عنها:

وقد أشرنا إلى هذه القصة عند ذكر سبب نزول سورة النور.

جـ- فضل أبي بكر وفضيلة العفو:

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ.. ﴾[4]

كان مسطح بن أثاثة وهو ابن خالة أبي بكر الصديق، ممن خاضوا في شأن أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق عائشة رضي الله عنهما، وكان أبو بكر الصديق ينفق عليه لفقره وقرابته، فلما وقع منه ما وقع حلف

[1] تفسير ابن كثير : ج5، ص48.
[2] روائع البيان تفسير آيات الأحكام:محمد علي الصابوني، ج2، ص59.
[3] صحيح البخاري: م 4، ج6، ص163.
[4] النور22.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو بكر أن لا ينفق عليه أبدا' فأنزل الله قرآنا يدع أبا بكر وهو المعروف بالفضل ومكانته العالية في الإسلام أن يعف ويحسن إليه (فانقلب أبو بكر الغاضب الحالف ألا ينفع مسطحا بنافعة أبدا . . بعدما قال في عائشة ما قال انقلب راضيا برأي القران الكريم من عفو وصفح وهو يردد أيضا "والله لا أنزعها منه أبدا")[1].

د- دور المساجد:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ . . ﴾[2]

يتمثل دور المسجد في تربية الفرد تربية إيمانية، حيث يكون الإنسان متصلا بالله تعالى، هذا الإيمان نتيجة الإصلاح (لأنه لا عمل بغير عقيدة، ولا صلاح بلا إيمان)[3].

ه- تحذير من الشيطان:

في الآية[4] تحذير من خطر الشيطان، ودعوة للاحتماء بالله تعالى. جاء في مجمع البيان: وفي الآية دلالة على أن الله سبحانه يريد من خلقه خلاف من يريد الشيطان. . وفيها دلالة على أن أحدا لا يصلح إلا بلطفه[5].

و- من وسائل الوقاية من الانحراف (الستر وتيسير الزواج):

ففي الآية 31 [6] دعوة إلى ستر الزينة أمام الأجانب عدا الوجه واليدين، هذه الزينة التي تكون مدعاة للفساد . . وفي الآية (32)[7] دعوة إلى تيسير الزواج.

---

[1] القصص الرمزي في القران: محمد محمد حمال، ص85، ط5 (1047 هـ - 1987م)، مكتبة رحاب، الجزائر.
[2] النور 38/37/36.
[3] في ظلال القران: م4، ص2521.
[4] الآية المشار إليها هي رقم 31 "يَا أَيُّهَا الذينَ آمنوا لَا تتبعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطانِ.."
[5] مجمع البيان في تفسير القران: م5، ج20/19، ص28.
[6] الآية: "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصار هن.."
[7] الآية: "وانكحوا الأيامى منكم.."

ز- دعوة إلى تحرير الإنسان:

يقول تعالى ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا . . ﴾ نزلت هذه الآية في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية وكاتبه حويطب[1]. ذلك أن الإنسان إذا كان حرا، كان أقدر على رعاية نفسه وحمايتها وإصلاحها .

حـ- شروط النصر:

﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمنوا مِنكمْ وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ . . ﴾[2]. وهذه الشروط هي: الإيمان بالله، العمل الصالح، عدم الشرك بالله، عبادة الله. . لقد وعد بهذا الصحابة وهم في موضع خوف وذلة، فلما آمنوا وأطاعوا، أتاهم نصر الله وقادوا وسادوا . . ولو فعلنا فعلهم لبلغنا ما بلغوا .

ط- عواقب مخالفة الرسول عليه السلام: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ . . ﴾[3]

في الآية تحذير من مخالفة الرسول عليه السلام زمن حياته "الحاكم"، وهو تحذير للمسلمين من بعده أن يخالفوا، أن يخالفوا أمر حاكمهم فيما هو معروف، والذين يخالفون لهم فتنة (محنة في الدنيا أو قتل أو زلزال وأهوال أو تسليط لسلطان جائر أو قسوة القلب . .)[4].

ي- المصلحة العامة والمصلحة الخاصة: ﴿ وَإِذا كَانوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهبوا . . ﴾[5]

والأمر الجامع (هو الحادث الذي يتطلب الاجتماع بطبيعته فيجمع الإمام الناس من أجله . .)[6] وقد يكون هذا الأمر العام الذي يهم عامة الناس فيجتمع له يتعارض مع مصالح خاصة، فأي المصلحتين تقدم؟ يقول ابن باديس رحمه الله: هنالك المصلحة العامة، وهنالك المصلحة الخاصة، ومحال أن تساوي هذه بتلك: أنظر إلى

[1] أسباب النزول: الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ص186، قصر الكتاب، القاهرة.
[2] النور 56/55.
[3] النور 63.
[4] تفسير النسفي: ج3، ص157.
[5] النور 62.
[6] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: الإمام ابن باديس. إعداد: د.توفيق محمد شاهين، والأستاذ: محمد الصالح رمضان، ص560، دار الفكر للطباعة والنشر.

الذكر الحكيم كيف عبر عن الأولى بالأمر الجامع، وفي هذا ما فيه تفخيم، وعبر عن الثانية ببعض الشأن، وفي هذا ما فيه من التحقير والتقليل[1].

سابعا: ختام السورة: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ يَعلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيهِ.. ﴾[2]

هكذا يختم الله السورة (بتعليق القلوب والأبصار بالله، وتذكيره بخشيه وتقواه فهذا هو الضمان الأخير، وهذا هو الحارس لتلك الأوامر والنواهي ولهذه الآداب والأخلاق، التي فرضها الله في هذه السورة..)[3].

و نلاحظ بعد هذا التعريف الموجز للسورة لمختلف جوانبها، أن ثمة تسلسل وترابط وتناسق فيما بينها، مقدمة السورة وختامها ومختلف المواضيع الواردة، من حدود و آداب وأخلاق وتوجيهات تشمل الفرد والأسرة والمجتمع؛ فالمقدمة فيها حديث عن وجوب الأخذ بما ورد في السورة، وأنها حوت فرائد شتى، وقد ختمت السورة بالتنبيه إلى علم الله تعالى بكل شيء، وأن هناك يوم للحساب ، فمن أمن واتقى و عمل بما في السورة، عاش حياة فيها أمن ونور، ومن أعرض وكفر كان كمن مثله في الظلمات.

[1] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير : ص560.
[2] النور 64.
[3] في ظلال القرآن: م4، ص2536.

الفصل الأول:

التشبيه في سورة النور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مما لا شك فيه أن التشبيه (ليس عنصرا إضافيا في الجملة ولكنه جزء أساسي لا يتم المعنى بدونه، والتشبيه يأتي ضرورة في الجملة يتطلبه المعنى ليصبح قويا)[3]، كما أن التشبيه في القرآن (يستعمل بهدف التأثير في العاطفة فترغب أو ترهب)[4]؛ أي أن التشبيه يستعمل بهدف توجيه الفكر وتربية النفس وتهذيب السلوك؛ وهذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل، وقد حوت الصورة تشبيها تمثيليا في موضعين، كل موضع استعمل فيه أعطى معان جمة، وتوجيهات هامة، الموضع الأول وفيه بيان لحال المؤمن الذي استنار بنور القرآن، والموضع الثاني بيان لحال الكافر الذي أعرض عن ذكر ربه، وقد فصلنا ذلك في مبحثين: بلاغة التشبيه التمثيلي – التشبيه التمثيلي معان وأبعاد.

المبحث الأول: بلاغة التشبيه التمثيلي

قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

يرجع بعض العلماء سبب تسمية سورة النور بذلك إلى هذه الآية، والتي فيها ذكر لفظ النور.

تكرر لفظ "نور" خمس مرات: " الله نور "، " مثل نوره "، " نور على نور "، " يهدي الله لنوره " . و لا شك أن المعنى يختلف حسب الموقع و السياق الذي ذكر فيه كل لفظ، فلفظ "نور" في قوله تعالى " مثل نوره " غير المراد بلفظ "نور" في قوله تعالى " الله نور السموات والأرض " . فالنور (لفظ مشترك استعمل في معنى و تارة أخرى في معنى آخر)[2].

---

[1] النور: 35.

[2] التحرير والتنوير: ج16، ص233.

3 التعبير الفني في القرآن ... بكري شيخ أمين، ص 196.

4 - المرجع نفسه، ص 195.

وقبل الحديث عن صورة التشبيه التمثيلي الواردة، وأثرها في المعنى، لا بدّ من إيراد معاني بعض المفردات الواردة في الآية بما يعين على الفهم الصحيح.

نور : أي هادي أهل السموات والأرض[1].

و قيل منورها ومنه فلان نوّر المجلس أي منوره[2].

و قال أبي بن كعب : مزين السموات بالملائكة و الأرض بالأنبياء[3].

و قيل: أوجد و أظهر و أبدع لمن قرأها " نوّر" (أبي و أبو المتوكل)[4].

وهو معنى صحيح لأن العدم ظلمة فيكون الإيجاد و الإظهار نور. جاء في المقصد الأسنى: النور: هو الظاهر الذي به كل ظهور، فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا، ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود، و لا ظلام أظلم من العدم، فالبريء عن ظلمة العدم بل عن إمكان العدم المخرج كل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود، جدير بأن يسمى نورا، ولوجود نور فائض على الأشياء كلها من نور ذاته، فهو نور السموات والأرض[5].

و قيل: التدبير. قال مجاهد: أي يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما[6].

المشكاة : الكوة في الجدار غير النافذة[7]. و في زاد المسير: هي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي في الحيطان التي لا منفذ لها[8].

كوكب دري : الكوكب الدريء من الكواكب : المندفع في مضيّه من مشرقه إلى مغربه. أو هو الدرّي بلا همز: المتوقد المتلألئ[9].

---

[1] قاموس القرآن : الشيخ الحسين بن محمد الدامغاني، ص 467، ط3 1980. دار العلم، بيروت.

[2] المصحف الميسر : الشيخ عبد الجليل عيسى، ص465، ط5 (1391هـ) ، دار الشروق، بيروت.

[3] مجمع البيان في تفسير القرآن: م5، ج20/19، ص46.

[4] زاد المسير في علم التفسير : ج6، ص39.

[5] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: أبوحامد الغزالي. تحقيق د. فضلة شحادة، ص158، دار الشروق ، بيروت، لبنان.

[6] تفسير ابن كثير : ج5، ص100.

[7] الكشاف: ج3، ص67.

[8] زاد المسير في علم التفسير : ج6، ص41.

[9] معجم متن اللغة: الشيخ أحمد ، ط1، م2، ص302 ، مكتبة الحياة، بيروت.

و جاء في تفسير الجلالين : دِرّي : أي مضيء بكسر الدال

درّي : من الدرء بمعنى الدفع لدفعها الظلام.

درّي : منسوب إلى الدر اللؤلؤ[1].

أولا: النور في آية النور:

﴿ الله نور السموات و الأرض﴾

هذه قراءة الجمهور بلا تشديد لـ " نور" و قرأ أبيّ وأبوا المتوكل " نوَّر" بتشديد الواو[2] والمعنى كما رأينا من قبل أوجد وأبدع.

رأينا من قبل معاني لفظ " نور": الهادي، مزين السموات و الأرض، المظهر والموجد والمبدع، مدبر الأمر فيهما . وهي متكاملة معقولة. و الأرجح أن نقول أن " نور" هنا يأتي بمعناه المجازي لا الحقيقي ومعناه: الإرشاد و الهداية. قال القرطبي : النور عند العرب: الضوء المدرك بالبصر، و استعمل مجازا في المعاني فيقال كلام له نور . كقول الشاعر:

بنسب كأن عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا[3]

و في الحديث: اللهم لك الحمد أنت نور السموات و الأرض ومن فيهن[4]. وقال ابن عطاء الله : الكون كله ظلمة أناره ظهور الحق فيه، إذ لو لا وجود الله ما وجد شيء من العالم[5]. و إذا كان المعنى أن الله هادي ومرشد أهل السموات و الأرض، إما هداية كونية فالشمس تجري لمستقر لها، ولا الليل سابق النهار، وكل في فلك يسبحون. وإما هداية تشريعية، بإرسال الرسل وإنزال الكتب. فلماذا عبر عن النور بنفس النور؟ ولماذا أضاف النور إلى السموات والأرض بالذات ؟

[1] تفسير الجلالين: جلال الدين السيوطي/جلال الدين المحلي، .د محمد الصادق القمحوي، ص295، مكتبة رحاب، الجزائر.
[2] زاد المسير في علم التفسير : ج6، ص39.
[3] صفوة التفاسير : ج2، ص340.
[4] المرجع نفسه: ج2،ص340.
[5] المرجع نفسه: ج2،ص340.

قال أبو السعود: عبر عن النور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير، وإيذانا بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر بإظهاره، كما أن النور ينير بذاته وما عداه مستنير به، وأضيف النور إلى السموات و الأرض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الأمور التي لها دخل في إرشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار ومنه لجميع ما يقبله ويستحقه من الأجرام العلوية و السفلية فإنهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه، أو على شمول البيان لأحوالهما وأحوال ما فيهما من الموجودات إذ ما من موجود إلا وقد تبيّن من أحواله وما يستحق البيان إما تفصيلا أو إجمالا كيف ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته و شاهدا بصحة البعث أو على تعلق البيان بأهلهما كما قال ابن عباس: هادي أهل السموات والأرض. فهم بنوره يهتدون و بهداه من حيرة الضلالة ينجون[1].

إذن فالله تعالى ذكر هنا النور، بمعنى الإيجاد و الإبداع و الإرشاد و الهداية، وهذا يشبه قوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ.وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[2]. ومما لا شك فيه أن سورة النور فيها من الأحكام الجليلة التي ترشد وتوجه المسلم، و تخرجه من ظلمات الجهل و الضلال و الفسوق إلى نور العلم و الرشاد. فالله (نور السموات و الأرض، بفضله يخرج الخلق من ظلمات أهوائهم إلى نور فطرته وبنوره يتطهر الخلق من أمراضهم، و من الأمراض ما هو نفسي و خلقي وفكري، مثل هذه الأمراض تشفيها أنوار الإبانة و الإيضاح و الهداية والتنظيم)[3].

و في الكشاف، أن الله شبه الحق بالنور في ظهوره وبيانه، كقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[4] أي من الباطل إلى الحق وأضاف النور إلى السموات و الأرض لأحد معنيين:

---

[1] " إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم " المسمى: تفسير أبي السعود: الإمام أبو السعود محمد بن محمد، ج4، ص118، دار المصحف، القاهرة.

[2] الأعلى 312.

[3] تفسير القرآن المرتب: د. أسعد أحمد علي، ص503، ط1(1399هـ/1989م)، دار السؤال للطباعة و النشر، دمشق.

[4] البقرة 257.

إما للدلالة على سعة إشراقه وفشو إضاءته حتى تضيء له السموات و الأرض وإما أن يراد أهل السموات والأرض وأنهم يستضيئون به[1].

و في (مجمع البيان) : ﴿نور السموات و الأرض﴾ يقدر بوجهين:

أولا: أن يكون على حذف المضاف وتقديره ذو نور السموات و الأرض على حد قوله تعالى : ﴿ إنه عمل غير صالح﴾[2].

ثانيا: أن يكون مصدرا وضع موضع اسم الفاعل كقوله تعالى : ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾[3] أي غائر.

و قول الخنساء : ترتع ما رتعت حتى إذا ذكرت * فإنما هي إقبال و إدبار

وعلى هذا تكون الإضافة غير حقيقية[4].

و قال المراغي : بيّن أنه نور السموات و الأرض بما بث فيهما من الآيات الكونية والآيات التي أنزلها على رسله دالة على وجوده و وحدانيته وسائر صفاته من قدرة وعلم هادية إلى إصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة[5].

فالله إذن نور، أوجد الكون وهداه إلى غايته، وأوجد الإنسان وأرشده إلى دوره في الحياة، بما أنزل من كتب وأرسل من رسل.

ثانيا: نور القرآن:

﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾

يضرب الله تعالى ها هنا مثلا للإنسان، مثلا حسيا ليبلغه شيئا معنويا، يضرب مثلا لنوره فيشبهه بمشكاة فيها مصباح في زجاجة . . هذه الأشياء التي شبه بها نور الله كلها تتكامل فيكون ﴿نور على نور﴾ . و هو (مثل يقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود، ويرسم النموذج المصغر الذي يتأمله الحس حين يقصر عن تملي

[1] الكشاف: ج3، ص67.
[2] هود 46.
[3] الملك 30.
[4] مجمع البيان في تفسير القرآن: ج8، ص45.
[5] تفسير المراغي: الأستاذ أحمد مصطفى [illegible] ج16، ص106، ط3 (1394هـ/1974م)، دار الفكر، بيروت

الأصل، وهو مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسي)[1].

وقد اختلف العلماء في تحديد المقصود بـ " نوره " إلى أي شيء يرجع ضمير الهاء ؟

قيل: أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه (السياق) سياق الكلام و تقديره: مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة، فشبه قلب المؤمن، وما هو مفطور عليه من الهدى و ما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه، فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستهديه من القرآن، و الشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف[2].

و قيل : أن الضمير عائد إلى الله عزّ وجلّ، أي مثل هداه في قلب المؤمن كمشكاة[3]. وقال كعب: يرجع الضمير إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ[4]. ويرى أبو السعود: أنه القرآن الكريم، كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالإنزال و التبيين، وقد صرّح بكونه نورا أيضا في قوله ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾[5].

وجاء في التفسير الكبير: اعلم أنه لا بد في التشبيه من أمرين: المشبه والمشبه به، واختلف الناس ههنا في أن المشبه أي شيء هو ؟ و ذكروا وجوها :

1 . و هو قول جمهور المتكلمين أن المراد من الهدى التي هي الآيات البينات، و المعنى أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور و الجلاء إلى أقصى الغايات وصارت في ذلك بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية.

2 . أن المراد من النور في قوله ﴿ مثل نوره ﴾ يدل عليه قوله ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ ﴾[6].

3 . أن المراد هو الرسول ـ صلى الله عله وسلم ـ لأنه المرشد، ولأنه تعالى قال فيه عند وصفه ﴿ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾[7].

---

[1] في ظلال القرآن: م4، ص2519.
[2] تفسير ابن كثير : ج5، ص102.
[3] المصدر نفسه، ج5، ص101.
[4] زاد المسير في علم التفسير : ج6، ص40.
[5] تفسير أبي السعود: ج4، ص118.
[6] المائدة 15.
[7] الأحزاب 46.

4. أن المراد منه ما في قلب المؤمنين من معرفة الله تعالى ومعرفة الشرائع، ويدل عليه أن الله تعالى وصف الإيمان بأنه نور والكفر بأنه ظلمة فقال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[1]. وحاصله أنه حمل الهدى على الاهتداء[2].

إذن فالضمير في لفظ " نوره " يحتمل الأقوال كلها : المؤمن . الله عز وجل . الرسول صلى الله عليه و سلم . القرآن الكريم.

وأولى الأقوال في ذلك فيما نرجح القرآن الكريم، جاء في (زاد المسير): ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين، مثل مشكاة "[3].

وهذا الرأي يتماشى مع مقدمة السورة خصوصا ومقاصدها عموما، فالمقدمة كما رأينا فيها إشارة إلى أهمية الأحكام الواردة في السورة وهي لذلك فرضت " وفرضناها " وأغراض السورة تتمحور حول موضوع التربية الأسرية خاصة، وهي الخلية التي يتم بها بناء المجتمع، و لا شك أن هذه الأحكام كالمصابيح تنير فترشد وتهدي إلى الذي هو خير.

وكما اختلف في تحديد مقصود الضمير في " نوره " فقد وقع الاختلاف أيضا في تعيين وجه الشبه فقد قيل :

– أنه شبه القرآن بالمصباح يستضاء به و لا ينقص، والزجاجة قلب المؤمن، والمشكاة لسانه وفمه و الشجرة المباركة شجرة الوحي، تكاد حججه تتضح وإن لم تقرأ.

– شبه نور الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح، فالمشكاة قلبه، و المصباح نور الإيمان فيه، والزجاجة قلبه، فكأنه مما فيه من القرآن و الإيمان كوكب مضيء من شجرة و هي الإخلاص، فمثل الإخلاص عنده كشجرة لا

[1] الزمر 22.
[2] التفسير الكبير : محمد الرازي فخر الدين، ج23، ص232، ط1 (1401 هـ-1981م)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
[3] زاد المسير في علم التفسير : ج6، ص 41.

تصيبها الشمس، فكذلك هذا المؤمن قد احترس من أن تصيبه الفتن، فإن أعطي شكر، و إن ابتلي صبر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل، فقلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى،كما يكاد هذا الزيت يضيء و لو لم تمسسه نار، فإذا مسته اشتد نوره.

– أنه شبه نور محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمصباح النير، فالمشكاة جوف رسول الله عليه السلام و المصباح النور الذي في قلبه، و الزجاجة قلبه، فهو من شجرة مباركة وهو إبراهيم عليه السلام ، سمي شجرة مباركة لأن أكثر الأنبياء من صلبه ﴿ لا شرقية و لا غربية ﴾ لا يهودي ولا نصراني، يكاد محمد عليه الصلاة والسلام يتبين للناس من أنه نبي ولو لم يتكلم[1].

وقيل في قوله تعالى﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ المقصود: كمصباح في مشكاة، وأنه قدم المشكاة في الذكر لأن المشبه به هو مجموع الهيئة، فاللفظ الدال على المشتبه به هو مجموع المركب المبتدئ بقوله "كمشكاة " و المنتهي بقوله " ولو لم تمسسه نار" فلذلك كان دخول كاف التشبيه على كلمة مشكاة دون لفظ مصباح لا يقتضي أصالة لفظ مشكاة في الهيئة المشبه بها دون لفظ مصباح، بل موجب هذا الترتيب مراعاة الترتيب الذهني في تصور هذه الهيئة المتخيلة حين يلمح الناظر إلى انشقاق النور ثم ينظر إلى مصدره فيرى مشكاة ثم يبدو له مصباح في زجاجة[2].

ومما يلاحظ في هذا الجزء من الآية (إعادة لفظ المصباح دون أن يقال : فيها مصباح في زجاجة كما قال : كمشكاة فيها مصباح، ههنا (إظهار في مقام الإضمار للتنويه بذكر المصباح لأنه أعظم أركان هذا التمثيل، وكذلك إعادة لفظ " الزجاجة " و تسمى مثل هذه الإعادة تشابه الأطراف في فن البديع)[3].

وقوله تعالى : ﴿يوقد من شجرة ﴾ استعمال فعل المضارع " يوقد " لإفادة (تجدد إيقاده أي لا ينور و لا يطفأ)[4]. وكذلك نور القرآن دائم مستمر ثابت.

---

[1] زاد المسير في علم التفسير : ج6، ص45.
[2] التحرير و التنوير : ج16، ص235.
[3] المرجع نفسه، ج16، ص241.

وقوله تعالى ﴿كأنها كوكب دري﴾ فلفظ " دري " يفيد شدة الإنارة وصفائها وشيوعها ليفيد أن القرآن الكريم له تأثير قوي شامل، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

و استعمال لفظ " مشكاة " و هي (الكوة في الجدار غير النافذة)[2]. فتكون الإنارة أقوى وأشمل، وهكذا كل لفظ يدل على قوة التنوير وشيوعه وشموله، فكذلك القرآن الكريم في تنويره للعقول والنفوس و الحياة.

لقد استعمل في هذه الآية الكريمة، و لتبليغ معان هامة التشبيه التمثيلي وهو أحد أوجه البيان في البلاغة العربية وأعظمها، هذا التشبيه (بالغ الإفصاح بحيث هو مع أنه يشبه هيئة بهيئة هو أيضا مفرق التشبيهات لأجزاء المركب المشبه مع أجزاء المركب المشبه به و ذلك أقصى كمال التشبيه التمثيلي في صناعة البلاغة)[3].

فالنور المقصود إذن هو (معرفة الحق على ما هو عليه المكتسبة من وحي الله وهو القرآن، تشبه بالمصباح المحفوف بكل ما يزيد نوره انتشارا و إشراقا، فحصل تمثيل حال الدين أو الكتاب المنزل من الله في بيانه وسرعة فشوه في الناس بحال انبثاق نور المصباح وانتشاره فيما حف به من أسباب قوة شعاعه وانتشاره في الجهة المضاءة له[4].

إذن فقد استعمل التشبيه التمثيلي، حيث وجه التشبيه منتزع ومركب من صور متعددة

" كمشكاة . . . و لو لم تمسسه نار " . هذا الاستعمال الذي أفاد معان هامة متعددة ومتكاملة، بأيها أخذت أفدت .

فمن أبعاد استعمال التشبيه التمثيلي هنا، التنبيه إلى عظمة القرآن الكريم، المتمثلة في قدرته على بناء الإنسان الصالح، الإنسان الذي يكون باطنه خير وظاهره خير، هو خير ويعطي خيرا، وقد شهد التاريخ على

---

[1] التحرير و التنوير : ج16، ص241.
[2] معجم متن اللغة: الشيخ أحمد رضا، م2، ص392.
[3] التحرير و التنوير: ج16، ص 224.
[4] التحرير و التنوير : ج16، ص241.

ذلك، إذ أحيا القرآن أمة كانت ميتة، خير أمة أخرجت للناس(جيل الصحابة)ولا يزال القرآن لم يتغير ولم يتبدل، إذا وجد من يحسن التعامل والتفاعل معه، صنع أمة تملأ الدنيا عدلا وأمنا .

ثالثا: آية النور و قلب المؤمن:

يرى ابن قيم الجوزية رحمه الله أن المثل الذي ضربه الله في الآية إنما يعني الإنسان الذي آمن، فصار في قلبه نور، هذا القلب المؤمن كمشكاة فيها مصباح. . . يقول ابن القيم: ضرب الله عز و جل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلا بالمشكاة وهي الكوة في الحائط فهي مثل الصدر، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج حتى شبهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه. و هي مثل القلب، وشبه بالزجاجة لأنها جمعت أوصاف هي في قلب المؤمن، وهي الصفاء والرقة والصلابة فيرى الحق والهدى بصفائه وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته، ويجاهد أعداء الله تعالى ويغلظ عليهم ويشدد في الحق ويصلب فيه بصلاحيته ولا تبطل صفة منه أخرى ولا تعارضها بل تساعدها وتعاضدها كقوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]، و في الأثر: القلوب آنية الله تعالى في أرضه، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها . و في الزجاجة مصباح، وهو النور الذي في الفتيلة، و هي حاملته، ولذلك النور مادة و هو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح، وكذلك مادة نور المصباح الذي في قلب المؤمن، من شجرة الوحي التي هي أعظم الأشياء بركة. وأبعدها عن الانحراف بل هي أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها، لم تنحرف انحراف النصرانية ولا انحراف اليهودية، بل هي وسط بين الطرفين المذمومين في كل شيء، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضيء بنفسه، ثم خالط النار فاشتدت بها إضاءته. . هكذا المؤمن: قلبه مضيء يكاد يعرف بفطرته و عقله، ولكن لا مادة له من نفسه فجاءت مادة الوحي فباشرت قلبه، و خالطت

[1] الفتح 29.

بشاشته فازداد نورا بالوحي على نوره الذي فطره الله تعالى عليه، فاجتمع له نور الوحي إلى نور الفطرة. نور على نور، فيكاد ينطق بالحق، وإن لم يسمع فيه أثرا، ثم سمع الأثر مطابقا لما شهدت به فطرته، فيكون نور على نور، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملا، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلا فينشأ إيمانه على شهادة الوحي وعن شهادة الفطرة.

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ومطابقتها لهذه المعاني الشريفة، فقد ذكر سبحانه و تعالى نوره في السموات والأرض، ونوره في قلب عباده المؤمنين، النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب، و النور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار العالم العلوي و السفلي، فهما نوران عظيمان، وأحدهما أعظم من الآخر، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمي ولا غيره لأن الحيوان إنما يكون حيث يكون النور، ومواضع الظلمة التي لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان و لا يكون البتة فكذلك أمة فقد فيها نور الوحي و الإيمان ميتة و لا بد، وقلب فقد منه هذا النور، ميت و لا بد لا حياة له البتة، كما لا حياة للحيوان في مكان لا نور فيه[1].

هكذا إذن المؤمن، المؤمن بالله الحق الموجود الواحد، الذي كملت صفاته وحسنت أسماؤه، المؤمن الإيمان الموافق للوحي، ومع هذا الإيمان يملك فطرة سليمة تقبل الحسن و ترفض الخبيث.

هذا المؤمن الذي في قلبه نور، هذا النور يصلح القلب ويزكي النفس ويهذب الأخلاق، فيكون المؤمن كله خير.

ويؤيد ما ذهب إليه ابن القيم سعيد حوى في كتابه (تربيتنا الروحية)، يقول: في الآية مثل أحد أجزائه المشكاة و المصباح و الزجاجة. هذه الأجزاء الثلاثة ماذا تقابل ؟

[1] التفسير القيم: ابن قيم الجوزية، ت: محمد أحمد الفقي، ص372، دار العلوم الحديثة، بيروت.

إنها تقابل في الإنسان المؤمن ثلاثة أشياء، جسده وقلبه والنور الموجود في هذا القلب، فالجسد تقابله المشكاة، والقلب يقابله الزجاجة، والنور يقابله السراج الموجود في الزجاجة. ودليلنا على ما ذهبنا إليه ما قاله ابن كثير عن أبي بن كعب في قوله تعالى : ﴿الله نور السموات مثل نوره﴾ قال هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال : ﴿الله نور السموات و الأرض﴾ فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال : مثل نور من آمن به، قال: فكان أبي بن كعب يقرؤها: " مثل نور من آمن به " فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره ". وهكذا روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قرأها كذلك " مثل نور من آمن به " إذن ﴿فالله نور السموات والأرض﴾ بمعنى أنه هاديهما فلا هداية في السموات و الأرض إلا بنوره جل جلاله، ثم ضرب مثلا لهدايته الأشياء بنوره بهداية المؤمن، وضرب لهذه الهداية الأمثلة العظيمة لتتبين عظمة هدايته وجلالها . . فالمشكاة جسد المؤمن الذي يحوي قلبه و الزجاجة هي قلب المؤمن الذي يحتوي نور القلب الذي يهتدي المؤمن فيرى الأشياء على حقائقها و يسير على هدى من ربه بسبب هذا النور، هذه هي المرحلة الأولى في هذا المثل، ثم تأتي المرحلة الثانية في المثل : هذه الزجاجة التي تحتوي المصباح أي هذا القلب الذي يحتوي النور شبه في شدة نوره بالكوكب المضيء الذي يشبه الدر لفرط ضيائه وصفائه .

و نلاحظ هنا أنه دمج الكلام عن الزجاجة ومصابيحها أي القلب ونوره بأنه شبه الجميع بالكوكب الدري، فالسراج مضيء و الزجاجة نفسها مضيئة لصفائها ونقائها وهذه هي المرحلة الثانية في المثل. ثم تأتي المرحلة الثالثة : هذا المصباح في الزجاجة من أين يوقد ؟ من أين يستمد نوره، كيف تستمر نورانيته؟ أو نقول : هذا القلب المنور من أين يستمد نورانيته ؟ قال تعالى : " يوقد " أي هذا المصباح في الزجاجة أي النور الموجود في قلب المؤمن (من شجرة مباركة) أي كثيرة المنافع (زيتونة لا شرقية و لا غربية)، هي شريعة الله وهي لا شرقية و لا غربية بل هي ربانية خالصة. ثم تأتي المرحلة الرابعة من المثل : هذه الشجرة المباركة التي يستمد منها القلب نوره كم هو عظيم نور زيتها ؟ قال تعالى : ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ قال النسفي :

وصف الزيت بالصفاء و الوميض وأنه لتلألئه يكاد من غير نار، فما أعظم نورانية هذه الشريعة التي تمد نور القلب ؟ و ما أعظم بالتالي نور هذا القلب الذي يستمد نورانيته من شريعة هذه شأنها . ولذلك قال تعالى : ﴿ نور على نور ﴾ فهذه هي المرحلة الخامسة من المثل : قال السدي في قوله تعالى : ﴿ نور على نور ﴾ قال : نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا و لا يضيء واحد بغير صاحبه. كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه. لاحظ قوله : كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا وبهذا ينتهي المثل الذي ضرب الله عز و جل لتوضيح نوع هدايته وعظمها[1].

استنتاج :

إنه لا معنى للحياة بلا إنسان . . . ولا معنى للإنسان بلا قلب . . . و لا قيمة لهذا القلب ما لم يكن مؤمنا . . . يؤمن بالله إيمان طاعة وعبودية، فيصير مستنيرا، ويستمر كذلك بنورانيته . . . فيكون هو خير، و فيه خير ويقدم في الحياة خيرا . . . يستمر كذلك ما دام متصلا بوحي الله بالقرآن . . . ومن هنا (نعلم أن القرآن هو المدد الدائم للقلب الذي به يبقى سراج القلب مشتعلا وبه يبقى الإنسان مهتديا)[2].

ومن أبعاد التشبيه التمثيلي أيضا، أنه ينبه إلى قيمة القلب ومكانته، فأهم ما في الإنسان قلبه، إذا آمن واهتدى. .عرف ربه واتبع هداه، صار صاحبه جريئا في الحق، رحيما بالناس، أمينا عدلا كريما، متصفا بكل الصفات الحسنة، فما أحوج الناس اليوم، إلى منهج تربويا متكامل، يقوم على أساس الإيمان بالله، يتجه نحو القلوب، يصلحها ويربيها، لتستقر الحياة بعد اضطرابها .

[1] تربيتنا الروحية: سعيد حوى، ص93/92، مكتبة وهبة، الجزائر.
[2] المرجع نفسه: سعيد حوى، ص93.

رابعا: آية النور و العلم و قصة الإعجاز

من عظمة هذه الآية الكريمة، وقوة بلاغة الصورة البيانية الواردة فيها (التشبيه)، أنها اشتملت على معان مختلفة صحيحة ومتكاملة، وأعطت للعلماء مجالا واسعا لإدراك حقائق تتماشى وقدراتهم العقلية ومؤهلاتهم العلمية وظروفهم الاجتماعية.

و من هؤلاء العلماء أبو حامد الغزالي رحمه الله، إذ يرى أن الآية تشير إلى القوى العقلية وأنها مراتب والتي بها تدرك العلوم، فالمشكاة والزجاجة و المصباح وغيرها إشارة إلى هذه المراتب، وأن القوى العقلية أنوار وعليه فهذه الأنوار مراتب.

يقول الغزالي : بيّنا أن القوى المدركة أنوار، ومراتب القوى المدركة الإنسانية خمسة : أحدها: القوة الحساسة، وهي التي تتلقى ما تورده الحواس الخمس وكأنها أصل الروح الحيواني وأوله إذ به يصير الحيوان حيوانا و هو موجود للصبي الرضيع. ثانيها : القوة الخيالية وهي التي تستثبت ما أوردته الحواس وتحفظه مخزونا عندها لتعرضه على القوة العقلية التي فوقه عند الحاجة إليه. ثالثها: القوة العقلية المدركة لحقائق الكلية. راعها: القوة الفكرية وهي التي تأخذ المعارف العقلية فتؤلفه فتستنتج من تأليفها علما بمجهول. خامسها: القوة القدسية التي يختص بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الأولياء. و تتجلى فيها لوائح الغيب و أسرار الملكوت وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1]. و إذا عرفت هذه القوى فهي بجملتها أنوار، إذ بها تظهر أصناف الموجودات، وأن هذه المراتب الخمسة يمكن تشبيهها بالأمور الخمسة التي ذكرها الله تعالى وهي : المشكاة والزجاجة و المصباح و الشجرة و الزيت[2].

---

[1] الشورى 52.
[2] التفسير الكبير : ج23، ص233.

و يؤيد ابن سينا الغزالي: حيث جوز أن يراد تشبيه النور المراد به القوة العقلية للنفس بمراتبها بذلك ومراتب أربع: الأولى أن تكون النفس خالية عن جميع العلوم الضرورية و النظرية مستعدة لها كما في مبدأ الطفولية، وتسمى القوة العقلية في هذه المرتبة بالعقل الهيولاني لأنها كالهيولى في أنها في ذاتها خالية عن جميع الصور قابلة لها . وثانيتها أن تستعمل آلاتها أي الحواس مطلقا فيحصل لها علوم أولية، و تستعد لاكتساب علوم نظرية وتسمى القوة المذكورة في هذه المرتبة عقلا بالملكة لحصول ملكة الانتقال إلى النظريات لها بسبب تلك الأوليات. وثالثها أن تصير النظريات مخزونة عندها وتحصل لها ملكة استحضارها متى شاءت من غير تجشم كسب جديد وتسمى تلك القوة في هذه المرتبة عقلا بالفعل لحصول تلك العلوم لها بالقوة القريبة من الفعل. ورابعتها أن ترتب العلوم الأولية وتدرك العلوم النظرية مشاهدة إياها بالفعل وتسمى تلك القوة في هذا المرتبة عقلا مستفادا لاستفادتها من العقل الفعال فشبهت القوة بالمرتبة الأولى بالمشكاة الخالية في بدء الأمر عن الأنوار الحسية المستعدة للاستنارة بها . وبالمرتبة الثانية بالزجاجة المتلألئة في نفسها القابلة للأنوار الفائضة عليها من الغير الخارجي، وبالمرتبة الثالثة بالمصباح الذي اشتعلت فتيلته من الزيت. والمرتبة الرابعة بالنور المتضاعف المشار إليه بقوله تعالى: ﴿نور على نور﴾[1]. ويقول الدكتور زكي نجيب محمود : " مثل نوره " فالنور هنا هو قوة الإدراك، ومن السهل على خيالنا أن يتصور في الإدراك نورا و في الغفلة ظلاما[2].

من بلاغة التشبيه التمثيلي في هذه الآية، أن من أبعاده أيضا، التنبيه إلى قيمة العقل، وعليه التنبيه إلى قيمة العلم والإدراك، العلم بما أنزل الله وإدراك مراد الله من خلال وحيه، هذا العلم الكاشف لمنهج الهداية من خلال الوحي، وذاك الإدراك الدقيق لحسن التفاعل مع هذا المنهج، فينتج عن ذلك علم صحيح وعمل صالح ، أي صناعة حياة طيبة.

---

[1] روح المعاني: م6، ج16، ص172.

[2] المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري: د. زكي نجيب محمود، ص21، ط5 (1993)، دار الشروق ، بيروت.

«﴿نور على نور﴾»

نور تعالى ﴿نور على نور﴾ جملة (مستأنفة إشارة أن المقصود من مجموع أجزاء المركب التمثيلي هنا هو البلوغ إلى إيضاح أن الهيئة المشبهة بها قد بلغت حد المضاعفة لوسائل الإنارة إذ تظاهرت فيها المشكاة والمصباح و الزجاج الخالص و الزيت الصافي)[1].

وهذا الكلام فيها إشارة إلى عظمة نور القرآن الكريم، هذا النور المتمثل في توجيهاته وإرشاداته وأحكامه و حكمه التي بلغت المنتهى في الكمال و الصواب و الخيرية . . . ويؤيد هذا الرأي ما قاله السدي قال: نور القرآن ونور الإيمان[2]. وثمة أقوال أخرى في معنى ﴿نور على نور﴾ : قيل: إيمان العبد و عمله[3] و قيل نبي بعد نبي[4]. وهي معان تقبلها بلاغة القرآن الكريم. وقال النسفي: ﴿نور على نور﴾ أي هذا النور الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة و الزجاجة و المصباح و الزيت حتى لم تبق بقية مما يقوي النور و هذا لأن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينتشر فيه و القنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه وضرب المثل يكون بدنيء محسوس معهود لابعلى غير معاين و لا مشهود . فإن تمام لما قال في المأمول:

إقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء إياس

قيل له إن الخليفة فوق من مثلته بهم فقال مرتجلا:

لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شردوا في الندى و الباس

فالله قد ضرب الأقل لنـــوره * مثـــلا من المشكاة و النبراس[5]

[1] التحرير و التنوير : ج16، ص242.
[2] تفسير ابن كثير : ج5، ص103.
[3] التحرير و التنوير : ج16، ص242.
[4] قاموس القرآن: ص407.
[5] تفسير النسفي: ج(4/3)، ص 146/145

و في " الظلال " : هو مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير[1]. و في (الكشاف): ﴿نور على نور﴾ أي: هذا الذي شبه به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة و الزجاجة و المصباح و الزيت حتى لم تبق مما يقوي النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة بقية[2].

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

اختلف العلماء في تحديد المقصود بـ " لنوره "، فقد قيل لنور القرآن، و قيل لنور الإيمان، وقيل لنور محمد عليه السلام[3]. والكل محتمل، و الراجح لنور القرآن، على اعتبار أنه بالقرآن تعرف حقيقة الإيمان، وباتباع القرآن يتبع الرسول عليه السلام. قال أبو السعود في قوله تعالى : ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أي: يهدي هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن و إظهاره في مقام الإضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية الناشئة من إضافته إلى ضميره عز وجل[4].

وجاء في (التحرير و التنوير): هذه الجمل تذييل للتمثيل و المعنى: دفع التعجب من عدم اهتداء كثير من الناس بالنور الذي أنزله الله وهو القرآن والإسلام . . وأن الله يضرب الأمثال للناس مرجوا منهم التذكر بها، وجملة ﴿و الله بكل شيء عليم﴾ تذييل لمضمون الجملتين قبلهما، أي لا يعزب عن علمه شيء ومن ذلك علم من هو قابل للهدى ومن هو مصر على غيّه وهذا تعريض بالوعد للأولين و الوعيد للآخرين[5].

و يقول ابن كثير في قوله تعالى : ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ يرشد الله إلى هدايته من يختاره[6]. هذا الاختيار الكائن على حسب العلم والحكمة الإلهية، فمن أراد واختار الهدى يسر الله له الهدى و وفقه إلى الإيمان الصحيح، أما من تكبر واختار غر الهدى فكيف يهديه الله ؟

[1] في ظلال القرآن: م4، ج(18/12)، ص2519.
[2] الكشاف: ج3، ص68.
[3] زاد المسير في علم التفسير : ج06، ص40.
[4] تفسير أبي السعود: ج 4، ص121.
[5] التحرير والتنوير : ج16، ص244.
[6] تفسير ابن كثير : ج5، ص103.

المبحث الثاني: التشبيه التمثيلي معان وأبعاد:

قال الله تعالى: ﴿ وَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ * أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[1].

الدراسة البيانية تعتمد أساسا على الكلمة (اللفظة)، فأنت (ترى الكلمة من القرآن يتمثل به في تضاعيف كلام كثير، وهي عزة جميعه، وواسطة عقده، و المنادي على نفسه بتميزه وتخصصه برونقه وجماله، واعتراضه في جنسه ومائه)[2].

فكل كلمة في القرآن لها معنى خاصا يتماشى و السياق الواردة فيه و الغرض الذي لأجله جيء بها دون غيرها ولذلك (يتعذر علينا جميعا الإتيان بكلمة أخرى مماثلة لها في موضعها)[3].

لأجل ذلك نبحث أولا في معان أهم المفردات، بعد ذكر سبب النزول.

سبب النزول : قوله تعالى : ﴿والذين كفروا . . . ﴾روى مقاتل أنها نزلت في عتبة بن ربيعة ابن أمية كان تعبد و لبس المسوح و التمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام[4]. و العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

السَّرَاب: الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء وهو يكون نصف النهار[5]. وقيل: نهر رقيق يرفع من قعور القيعان فإذا اتصل به ضوء الشمس أشبه من بعيد الماء السارب أي الجاري واشترط فيه الفرّاء اللصوق بالأرض[6].

القيعة : القيعة جماع القاع، والقاع من الأرض: المنبسط الذي ينبت فيه وفيه يكون السراب[1].

---

[1] النور 40/39.
[2] إعجاز القرآن و البلاغة النبوية: ص42.
[3] التفسير البياني للقرآن الكريم: د.عائشة عبد الرحمان، ج2، ص09.
[4] روح المعاني: م6، ج18، ص181.
[5] لسان العرب: ابن منظور، إعداد يوسف خياط، م2، ص126، دار لسان العرب، بيروت.
[6] روح المعاني: م6، ج18، ص180.

الظمآن : شديد العطش[2].

لجيّ : منسوب للجة، و هو الماء الكثير بعيد الغور[3].

يغشاه : يغطي البحر[4].

لم يكد يراها : مبالغة في لم يرها، أي: لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها[5].

في هاتين الآيتين حديث عن أعمال الكافرين وأحوالهم، هذه الأعمال وإن حسنت في الدنيا ولأنها خالية من التوحيد و الإخلاص لله تعالى، فهي غير نافعة في الآخرة، وأن أحوال الكافرين سيئة ومضطربة في الدنيا وإن ادعوا الفلسفة و التقدم العلمي و التكنولوجي، بسبب بعدهم عن الإيمان الموجب لإتباع وحي الله تعالى، والذي وحده المؤدي إلى الاستقرار النفسي و الاجتماعي.

وقد استعمل الله في هاتين الآيتين ولتقرير الحقائق المذكورة سابقا صورة بيانية بليغة و هي التشبيه التمثيلي.

أولا: التشبيه باعتبار الزمن

أراد الله تعالى أن يبين حال الكافرين، في الحياة الدنيا و في الآخرة، فضرب لذلك مثلين، فحالهم في الآخرة ﴿ و الذين كفروا أعمالهم كسراب . . . ﴾ . فقد (شبه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها ننفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله، ويلقي خلاف ما قدّر، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة، فحسبه ماء فيأتيه، فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده، فيأخذونه فيعقلونه إلى جهنم، فيسقونه الحميم و الغسّاق، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض وذلك أنه روعي من

---

[1] معاني القرآن: ج2، ص254.
[2] المصحف الميسر : ص464.
[3] المرجع نفسه، ص464.
[4] المرجع نفسه، ص464.
[5] الكشاف: ج 3 ص 79

الكافر فعل مخصوص، و هو حسبان الأعمال نافعة لـه وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة، وهي صورة الأعمال الصالحة التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسلهم عليهم السلام، وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئا، وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم، وكذا في جانب المشبه به)[1].

أما حالهم في الدنيا ففي قوله تعالى ﴿أو كظلمات . . . ﴾ فقد (تضمن صفة أعمالهم في الدنيا أي أنهم من الضلال في مثل هذه الظلمات المجتمعة من هذه الأشياء،وقيل في هذا المثال أجزاء تقابل أجزاء من الممثل به:فالظلمات الأعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة، والبحر اللجيّ صدر الكافر وقلبه و اللجيّ معناه ذو اللجة وهي معظم المياه وغمره واجتماع ما به أشد لظلمته هو الضلال والجهالة التي غمرت قلبه والسحاب هو شهوته في الكفر وإعراضه عن الإيمان. وقوله ﴿إذا أخرج يده لم يكد يراها ﴾ لفظ يقتضي مبالغة الظلمة،واختلف في هذه اللفظة، هل معناها أنه لم ير يده البتة أو المعنى أنه رآها بعد عسر وشدة وكاد أن لا يراها و وجه ذلك أن كاد إذا صحبها حرف النفي وجب الفعل الذي بعدها وإذا لم يصحبها انتفى الفعل وكاد معناها قرب)[2].

إذن فالكافرون وإن حسنت الكثير من أعمالهم، فكيف و هي سيئة في معظم الأحوال، لا تنفعهم في الآخرة، إلا كما ينتفع العطشان من السراب . . . أما في الدنيا فهم في فوضى واضطراب و قلق، كمن غرق في بحر متلاطم الأمواج يرجو النجاة، و هيهات أن يحصل عليها .

ويؤيد أيضا الرأي القائل بأن التمثيل المتضمن في الآيتين، موزع بالاعتبار الزمني، فالأول تمثيل لحالهم في الآخرة،والثاني تمثيل لحالهم في الدنيا . الشيخ المراغي في تفسيره حيث يرى أن الآية الأولى بيّنت حال الكافرين في الآخرة،و الثانية بيّنت حالهم في الدنيا، فعني الآية الأولى (شبه الأعمال الصالحة التي يعملها من جحدوا توحيد الله وكذبوا بهذا القرآن وبمن جاء به و يظنون أنها تنفعهم عند الله، في العاقبة آمالهم ويلقون خلاف ما قدّروا . بالسراب يراه من اشتد به العطش فيحسبه ماء فيطلبه ويظن أنه قد حصل على ما ينبغي، حتى إذا جاءه لم

[1] الإيضاح في علوم البلاغة: ص352.

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق د. عمار طالبي، ج9، ص 189، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

يجده شيئا . هكذا حال الكافرين في الآخرة. أما حالهم في الدنيا فكما قال : ﴿أو كظلمات . . . ﴾ أي و مثل أعمالهم التي عملت على غير هدى مثل ظلمات مترادفة في بحر عميق ماؤه، بعيد غوره يغطيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فالظلمات هي أعمال الكافرين، و البحر اللجيّ قلوبهم التي غمرها الجهل، و تغشتها الحيرة والضلالة، فلا تعقل ما في الكون من آيات ولا تسمع عظة الناصحين، و لا تبصر حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض)[1]. و يؤيد هذا ما قاله الحسن : الكافر له ظلمات ثلاث: ظلمة الاعتقاد، و ظلمة القول، وظلمة العمل[2]. وهذا حاصل ولا شك في الدنيا، وهو وارد في الآية الثانية ﴿أوكظلمات . . . ﴾ .

و إذا كان التمثيل في الآيتين بالاعتبار الزمني، فلماذا قدم المثال المتعلق بالآخرة على المثال المتعلق بالدنيا، وزمن الدنيا مقدم على زمن الآخرة ؟

قدّم الله (أحوال الآخرة التي هي أعظم و أهم لاتصال ذلك بما يتعلق بها من قوله سبحانه ﴿ليجزيهم . . . ﴾ . ثم ذكر أحوال الدنيا تتميما لها . . وفائدة ذلك أن يعتبر ويتعظ ويفهم السامع أيا كان ليهتم بالآخرة فهي دار الخلود وهي أقرب إليه من الدنيا، إذ بالموت ينتقل إليها)[3]. وقيل أن التمثيل حاصل باعتبار الوقت، ولكن بالترتيب، فالأول للدنيا، و الثاني للآخرة. جاء في روح المعاني: المراد من الأول تشبيه أعمالهم بالسراب في الدنيا حال الموت،ومن الثاني تشبيهها بالظلمات في القيامة كما في الحديث " الظلم ظلمات يوم القيامة " ويكون ترقيا مناسبا للترتيب الوقوعي[4].

و القولان كلاهما تقبلهما بلاغة القرآن الكريم، وإن كان القول الأول أرجح على اعتبار أن الجزاء على العمل يكون في الآخرة، والله يقول ﴿ و وجد الله عنده فوفاه حسابه ﴾ .

---

[1] تفسير المراغي: م6، ص113.
[2] المرجع نفسه، م6، ص113.
[3] تفسير روح المعاني: ج18، ص182.
[4] **المرجع نفسه** ج18، ص182.

ثانيا: التحبير في التشبيه :

إذا كان بعض العلماء و منهم المراغي يروا أن الآية الأولى تبين حال الكافرين في الآخـــــــرة و الثانية تبين حالهم في الدنيا، فهناك رأي آخر و هو أن (الكلام في الآية الثانية و التي قبلها جار على التشبيه في التخيير مع اختلاف وجه الشبه)[1]. و ذلك أنه (أثر ما مثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مثلت أعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المفترون بالظلمات المذكورة)[2]. فالآية الثانية ﴿أو كظلمات﴾ (تمثيل حل الكافرين في أعمالهم التي يعملونها و هم مؤمنين بحال من ركب البحر يرجو بلوغ غاية فإذا هو في ظلمات لا يهتدي معها طريقا فوجه الشبه هو ما حقّ بأعمالهم من ضلال الكفر الحائل دون حصول مبتغاهم، و مما يدل على ذلك ما ذيلت به هذه الآية ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾[3].

و هذا التمثيل (صالح لاعتبار التفريق في تشبيه أجزاء الهيئة المشبهة بأجزاء الهيئة المشبه بها فالضلالات تشبه الظلمات، و الأعمال التي اقتحمها الكافر لقصد التقرب بها تشبه البحر، وما يخالط أعماله الحسنة من الأعمال الباطنة كالبحيرة و السائبة يشبه الموج الغامر الآتي على جميع ذلك بالتخلل والإفساد وهو الموج الثاني، وما يحق اعتقاده من الحيرة في تمييز الحسن من العبث و من القبيح يشبه السحاب الذي يغشى ما بقي في السماء من بصيص أنوار النجوم،وبطلبه الانتفاع من عمله يشبه إخراج الماخر يده لإصلاح أمر سفينته أو تناول ما يحتاجه فلا يرى يده بله الشيء الذي يريد إصلاحه[4]. و جاء في (الكشاف): شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده كمكن خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا كمن غره السراب، حتى وجد عنده

---

[1] التحرير و التنوير : ج16، ص254.
[2] تفسير روح المعاني: ج18، ص182.
[3] التحرير و التنوير : ج16، ص255.
[4] المرجع نفسه : ج16، ص256.

الزبانية تعتله إلى النار و لا يقتل ظمأه بالماء، وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوّها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لجّ البحر والأمواج و السحاب[1].

إذن فأعمال الكافرين، و الناتجة عن اعتقاد سيء و هو الكفر بالله و بوحيه ورسله، هذه الأعمال لا تنفع صاحبها وإن حسنت، لا في الدنيا و لا في الآخرة، إذ أن صاحبها سيعيش في الضلال و الحيرة و الشقاء ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا . . . ﴾[2].

ثالثا: علم الدنيا و علم الآخرة:

في الآية الأولى ﴿و الذين كفروا أعمالهم كسراب . . . ﴾فيها مثل لمن جاء بعمل و لو صالح،لكنه لم يأت بإيمان وإخلاص لله، فمثله كمثل من طلب ماء وهو عطشان، فلما جاء موضع الماء، علم أنه كان يرى سرابا لا ماء، فهو لا ينتفع بأعماله في الآخرة كما لم ينتفع هذا من السراب.

و في الآية الثانية ﴿أو كظلمات . . . ﴾ يبيّن الله تعالى (حال جميع الكفار و المنافقين،و فيهم من قدّر ذكرهم في المثال الأول، فالله تعالى يقول عن هؤلاء جميعا أنهم لا يقضون حياتهم من بدئها إلى آخرها إلا في حالة الجهل الكامل، و لو كانوا حسب اعتبارات الدنيا كبار علمائها وأساتذتها الذي قد سبقوا سائر أهلها في الفنون والعلوم و الاختراع، و لكن مثلهم - حسب بيان القرآن - كمثل رجل يعيش في مكان ليس فيه إلا الظلمة و لا ينفذ إليه من أي جوانبه شعاع واحد من النور، فيظن هؤلاء أن العلم إنما هو عبارة عن اختراع القنبلة الدرية أو الصاروخ الطائر إلى القمر، وأن المهارات في الاقتصاديات والماليات و القانون و الفلسفة هي العلم، إلا أن العلم الحقيقي هو شيء آخر ليسوا على أدنى إلمام بألفه وبائه،فهم على الجهل المحض باعتبار هذا العلم حيث إن رجلا

[1] الكشاف: ج3، ص70.
[2] طه 124.

من البدو و هو أعلم منهم إن كان سعيدا بمعرفة الحق[1]. و هذا التأويل يشبه قوله تعالى ﴿يَعلمونَ ظَاهِرًا مِّنَ الحياةِ الدُّنيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[2].

فمن فقد علم الوحي " القرآن " المبين لطرق النجاة و الرشد، لا شك يتصرف على غير هدى . . بغير نور . . فهو في فوضى واضطراب من أمره . . فمثله كمثل سائر في الظلمات . . و لعلّ هذا ما أشار الله إليه في قوله ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ فمن ترك نور الله وهدى الله، فهيهات أن يجد ذلك في مناهج أخرى.

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾

من طلب الهدى و الرشاد في غير دين الله ومنهجه، فلا هداية و لا رشاد له، مهما اتبع من أديان ومناهج،و قد يكون المعنى (من لم يرحمه الله و ينور حاله بالمغفرة و الرحمة فلا رحمة له)[3].جاء في (التحرير والتنوير) : قوله تعالى ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ تذييل للتمثيل أي هم باءوا بالخيبة فيما ابتغوا مما عملوا وقد حفهم الضلال الشديد فيما عملوا حتى عدموا فائدته . . .)[4].

هناك ملاحظة جديرة بالتسجيل، بعد الحديث عن التشبيه التمثيلي في الموضعين، وهي أنه تعالى عندما بيّن حال المؤمن الذي استنار بنور القرآن قال " نور على نور "، وعند بيان حال الكافر قال: " ظلمات بعضها فوق بعض "، فصورة الكافر هنا تقابل صورة المؤمن هناك، فإذا كان حال المؤمن نور كله، بما له من تصور صحيح، وإيمان صادق، وسلوك قويم، فينعكس إيجابا على حياته ظاهرا وباطنا، فيطمئن قلبه وتنتظم حياته، ويستقر أمره، فإن حال الكافر ظلام كله، بما له من اعتقاد خاطيء، وسلوك فاسد، فينعكس سلبا على حياته

[1] تفسير سورة النور : المودودي، ص205.
[2] الروم: 04.
[3] الجواهر الحسان: عبد الرحمان الثعالبي ، ج3، ص189.
[4] التحرير و التنوير : ج16، ص256.

ظاهرا وباطنا، فيحزن قلبه، وتضطرب حياته، ويعيش غير آمن ولا مستقر، ومن ضل في دنياه، خسر ضل في دنياه، خسر في أخراه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

المجاز في سورة النور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في هذا الفصل، تناولنا المجاز في سورة النور، وقد اشتملت السورة على الاستعارة أكثر، وللاستعارة في القرآن (محاسن وفضائل جمة منها: أنها تبرز هذا البيان أبدا في صورة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، ومن مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ)[2]؛ وقد وردت الاستعارة في سورة النور في مواضع شتى، كما استخدمت ألفاظ مستعارة كثيرة، وقد حققت في جميع المواضع أغراضا وأبعادا هامة، ما كانت لتحقق لو استبدلت بالأسلوب الحقيقي، وقد فصلنا القول في ذلك من خلال مباحث ثلاثة: بالغة الاستعارة – بين الحقيقة والمجاز – من أبعاد الحذف والإضراب.

المبحث الأول: من أبعاد الاستعارة:

أولا: الاستعارة المكنية:

*- قال الله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

سورة النور مدنية، والقرآن المدني غالبا ما يهتم بالمعاملات، و الظاهر أن استعمال الحقيقة أفضل من المجاز في مثل هذا، غير أننا نلاحظ ومن خلال دراسة سورة النور دراسة بيانية، أن المجاز استعمل كثيرا وكان الأفضل في تبليغ معان هامة.

ففي الآية الأولى من سورة النور، بيان لأهمية المعاني الواردة في السورة مع كثرتها وشمولها لقضايا العقيدة و العبادة و الأحوال الشخصية والآداب و الأخلاق، و حتى الشؤون السياسية في علاقة الحاكم بالمحكوم، بل حتى أحكام العقوبات و الحدود .

[1] النور 01.

2- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني ص 36.

ولأن المعاني الواردة في السورة مهمة، فقد جيء بلفظ " سورة " قال ابن الأعرابي الرفعة و الخير[1]. وكذا بلفظ " فرضناها " أي فرضنا ما فيها من أحكام[2]. و قيل: أنزلنا فيها فرائض شتى[3].وجاء في (الكشاف): ﴿فرضناها﴾: أصل الفرض من القطع، أي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الإيجاب وتوكيده، أو لأن فيها فرائض شتى، أو لكثرة المفروض عليهم[4]. وجاء في (أساس البلاغة) فرض: فرض الله الصلاة وافترضها – أي : أوجبها – وفرّض الله الفرائض[5]. إذن فرّض بالتشديد من كثرة الفرائض.

و في تكرار لفظ ﴿أنزلنا﴾ ما يفيد العناية و الاهتمام، فجملة ﴿أنزلناها﴾ (و ما عطف عليها في موضع الصفة لـ " سورة " و المقصود من تلك الأوصاف التنويه بهذه السورة ليقبل المسلمون بشر أثرهم على تلقي ما فيها)[6].

إن الآية كما ذكرنا، كل لفظ فيها، يدل على معنى أهمية المعاني الواردة في السورة، في حياة الفرد والأسرة و المجتمع.

و بالإضافة إلى ما ذكر، ففي الآية استعارة مكنية، و قد وردت لتؤكد على جلال وقدر المعاني التي تضمنتها السورة.

فالله يقول ﴿سورة أنزلناها﴾ ثم يقول ﴿و أنزلنا فيها آيات﴾ و السورة مجموعة من الآيات، لم القول ﴿و أنزلنا فيها آيات﴾ ؟ إن كلمة " فيها " (تؤذن باستعارة مكنية تشبّه آيات هذه السورة بأعلاق نفيسة تكتنز و يحرص على حفظها من الإضاعة و التلاشي كأنها مما يجعل في خزانة ونحوها، و رمز إلى المشبه به بشيء من روافده و هو حرف الظرفية فيكون حرف (في) تخييلا مجردا و ليس باستعارة تخييلية إذ ليس ثم ما يشبه بالخزانة

[1] لسان العرب: م2، ص338.
[2] المصحف الميسر : ج18، ص456.
[3] معاني القرآن: ج2، ص244.
[4] الكشاف: ج3، ص46.
[5] أساس البلاغة: الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت 538 هـ)، تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، ص 338، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
[6] التحرير والتنوير : ج18، ص142.

و نحوها)[1]. فالسورة إذن كالحق والمعاني الواردة فيها كالجواهر الثمينة، و لا بد من صون و حفظ الحُق، لصون و حفظ الجواهر، للانتفاع بها متى دعت الحاجة إلى ذلك . . فالمعنى إذن أن المعاني الواردة في السورة هامة يجب على كل مسلم أن يعلمها ويحفظها ويعمل بها .

*- قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ . . . ﴾[2].

في هذه الآية وما تلاها[3]، حديث عن قصة الإفك التي اختلقها المنافقون قصد الطعن في بيت النبوة ومن ثم الطعن في الرسالة الإلهية، وقد برّأ الله عائشة . رضي الله عنها . وبرأ بيت النبوة، مستعملا في ذلك أدق الألفاظ وأحسن الأساليب، ومن ذلك الاستعارة المكنية.

﴿ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾: **الإفك** : أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفاجئك[4]. و في قاموس القرآن: الإفك: بمعنى الكذب[5] ﴿ وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴾[6]. أو بمعنى التقليب[7] ﴿ و المؤتفكة أهوى ﴾[8]. و قال النسفي : الإفك: أصله الأفك، وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه[9].

المعنى إذن ما جاء به المنافقون كذب محض. هذا الإفك لم يقولوه قولا بل اهتموا به وأرادوه، لفساد طويتهم، فهم ﴿ جاءوا بالإفك ﴾ ففيه (تشبيه الخبر بقدوم المسافر أو الوافد على الوجه المكنية و جعل المجيء ترشيحا وعدي بباء المصاحبة تكميلا للشرح)[10]. و المقصود من وراء ذلك، أن المنافقين اهتموا اهتماما بليغا

[1] التحرير والتنوير : ج18، ص144.
[2] النور 11.
[3] الآيات من 12-20.
[4] الكشاف: ج3، ص52.
[5] قاموس القرآن: ص33.
[6] الأحقاف11.
[7] قاموس القرآن: ص33.
[8] النجم 53.
[9] تفسير النسفي: ج3، ص134.
[10] التحرير والتنوير : ج18، ص169.

بالإشاعة الكاذبة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه دلالة على الحقد الدفين في قلوبهم اتجاه الإسلام وأهله.

*- قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾[1].

أراد الله في هذه الآية الكريمة، تكذيب حديث الافتراء، فاستعمل لذلك أسلوبا في غاية البلاغة وانتقى أحسن الألفاظ و العبارات. فقوله تعالى " إذ تلقونه ": تلقونه : أي (يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول و تلقفه. وتألقونه من الولق و الألق و هو الكذب)[2]. و في (مجمع البيان) : تلقونه تسرعون فيه وتخفون إليه. كما قيل : جاءت مع عنس من الشام تلق أي تخف. وجاء في حديث علي: كذبت و ولقت[3]. و هي معان بليغة متكاملة . . الناس يأخذون القول المكذوب بعضهم عن بعض، بسرعة وبغير روية و لا تأمل، وهذا يدل على الاهتمام بالأمر، والاضطراب الذي حدث للمسلمين.

و قوله تعالى : ﴿ تلقونه بألسنتكم ﴾ فيه (تشبيه الخبر بشخص و تشبيه الراوي للخبر بمن ينتهي ويستعد للقائه استعارة مكنية، فجعلت الألسن آلة للتلقي على طريقة تخييلية بتشبيه الألسن في رواية الخبر بالأيادي في تناول الشيء، وإنما جعلت الألسن آلة للتلقي، مع أن تلقي الأخبار بالأسماع، لأنه لما كان هذا التلقي غايته التحدث بالخبر جعلت الألسن مكان الأسماع مجاز بعلاقة الأيلولة. . .)[4].

و في قوله تعالى : "ما ليس لكم به علم. "، " وتقولون بأفواهكم "، من البلاغة ما لا يخفى، فالقول لا يكون بغير الأفواه، نذكر الأفواه هنا تنبيه على أن هذا القول غير صادر عن قناعة عقلية مبنية على الأدلة، بل هو قول، و هناك إشارة إلى أن هؤلاء يظهرون من القول بخلاف ما يبطنون من يقين في براءة أم المؤمنين عائشة. جاء في التفسير الكبير: فإن قيل : ما معنى قوله ﴿ بأفواهكم ﴾ و القول لا يكون إلا بالفم ؟ قلنا معناه أن الشيء

[1] النور 15.
[2] الكشاف: ج3، ص54.
[3] مجمع البيان: م5، ج20/19، ص19.
[4] التحرير و التنوير : ج18، ص169.

المعلوم يكون عمله في القلب، فيترجم عنه باللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم من غير أن يخص في القلب علم به)[1]. وربما أريد بذلك (التمهيد لقوله تعالى ﴿ ما ليس لكم به علم ﴾ أي هو قول غير موافق لما في العلم ولكنه عن مجرد تصور، لأن أدلة العلم قائمة بنقيض مدلول هذا القول فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه)[2]. و في الآية توجيه للمسلم أن لا يقول إلا عن علم، وأن يتصف بالأناة وعدم العجلة في تقبل الأخبار ونشرها .

*- قال الله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

في هذه الآية حديث عن المنافقين أيضا، و فيها كشف لصفة أخرى من صفاتهم السيئة، وهي أنهم يحلفون بالله و هم كاذبون، إنهم لا يحلفون حلفا عاديا، ولكنهم يقسمون بالله ﴿جهد أيمانهم ﴾ لئن أمروا بالخروج للجهاد ليخرجن.

قل المفسرون: لما نزل في هؤلاء المنافقين ما نزل من بيان كراهتهم لحكم الله، قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا، فكيف لا نرضى حكمه ؟ فنزلت هذه الآية[4].

بعد معرفة سبب النزول، وقبل استخراج الصورة لبيانية (الاستعارة)، لا بأس أن نورد معنى أهم الألفاظ، والتي تزيد في بيان وتوضيح الصورة.

[1] تفسير الفخر الرازي: ج23، ص178.
[2] التحرير و التنوير :ج18، ص178.
[3] النور 53.
[4] زاد المسير في علم التفسير :ج6، ص56.

جهد: الجهد: المبالغة و الغاية ﴿جهد أيمانهم﴾ أي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيها[1]. و في(صفوة التفاسير) : ﴿جهد أيمانهم﴾: نهاية الإيمان المغلظة[2]. و في (التفسير الميسر): بالغين غاية جهدهم في توكيد أيمانهم[3].

طاعة معروفة : طاعة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب، أو طاعة معروفة أمثل و أولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة[4]. وفي المصحف الميسر: المراد طاعتكم طاعة معروفة أي بأنها قولية، لا فعلية[5]. و في تفسير سورة النور : ﴿طاعة معروفة﴾ : هناك معنيان: الأول طاعتكم طاعة معروفة أي أن الله يعلم حقيقة طاعتكم إنما هي قول لا معنى له. و الثاني: أن الطاعة (المعروفة) المطلوبة من أهل الإيمان إنما هي طاعة معروفة، و هي الطاعة التي تكون فوق كل شبهة ولا تكون معها حاجة إلى حلف و لا قسم[6]. وقال الطبري رحمه الله: لا تحلفوا فإن هذه طاعة معروف منكم فيها التكذيب[7].

فالمنافقون بلغوا الغاية في قسمهم بالله تعالى، زاعمين بأنهم من الطائعين لله، وليردوا تهمة إعراضهم عن حكم الله وحكم رسوله، و لكن قسمهم كقسم إبليس لآدم وحواء ـ عليهما السلام ـ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[8]

أما كون الآية تحوي صورة بيانية (الاستعارة المكنية) فإن: جهد: منصوبا على المفعول المطلق الواقع بدلا من فعل، و التقدير: جهدوا أيمانهم جهدا . و الفعل المقدر في موضع الحال من ضمير " أقسموا " و التقدير: أقسموا يجهدون أيمانهم جهدا، و إضافة " جهد " إلى أيمانهم على هذا الوجه من إضافة المصدر إلى مفعوله جعلت الأيمان كالشخص الذي له جهد، ففيه استعارة مكنية، ورمز إلى المشبه به بما هو من روافده وهو أن

[1]) لسان العرب: م2، ص521.
[2] صفوة التفاسير: ج2، ص347.
[3] المصحف الميسر: ص466.
[4] الكشاف: ج3، ص73.
[5] المصحف الميسر: ص466.
[6] تفسير سورة النور المودودي: ص212.
[7] مختصر تفسير الطبري: م2، ص102.
[8] الأعراف 21.

أحدا يجهده، أي يستخرج منه طاقته فإن كل إعادة لليمين هي كتكليف لليمين بعمل متكرر كالجهد له فهذا أيضا استعارة[1].

و في (صفوة التفاسير): ﴿جهد أيمانهم﴾ شبه الأيمان التي يحلف بها المنافقون بالغين فيها أقصى المراتب في الشدة، و التوكيد بمن يجهد نفسه في أمر شاق لا يستطيعه ويبذل أقصى وسعه وطاقته بطريق الاستعارة[2].

هكذا المنافقون يجهدون أنفسهم ويبذلون أقصى ما يملكون من طاقة، حالفين بالله أنهم من الطائعين لأمر الرسول عليه الصلاة و السلام وما هم كذلك، إنهم لكاذبون، فالصادق في إيمانه، لا يحتاج في طاعته لربه وأتباع أمر نبيه، إلى قسم، بله تأكيد القسم ﴿جهد أيمانهم﴾. إن في قسمهم هذا وتأكيده، لدليل على نفاقهم المخبوء في قلوبهم.

*- قال الله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنواْ لاَ تَتَّبِعواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾[3].

في الآية الكريمة نهي عن إتباع وساوس الشيطان، و تحذير من خطر الشيطان، و في الكلام إشارة إلى أن إفك المنافقين من وساوس الشيطان، وكان الأولى أن يعادوه لا أن يتبعوه.

يقول سيد قطب: إنها لصورة مستنكرة أن يخطو الشيطان فيتبع المؤمنون خطاه، و هم أجدر الناس أن ينفروا من الشيطان وأن يسلكوا طريقا غير طريقه المشئوم! صورة مستنكرة ينفر منها طبع المؤمن ويرتجف لها وجدانه، ويقشعر لها حياله ! و رسم هذه الصورة و مواجهة المؤمنين بها يثير في نفوسهم اليقظة والحذر والحساسية ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ و حديث الإفك نموذج من هذا المنكر الذي قاد إليه المؤمنين الذي خاضوا فيه. و هو نموذج منفر شنيع[4].

---

[1] التحرير و التنوير : ج18، ص277.

[2] صفوة التفاسير : ج2، ص352.

[3] النور 21.

[4] في ظلال القرآن: م4، ص2504.

إن ظنون السوء و محبة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، من وساوس الشيطان، وقد وردت في الآية صورة بيانية رائعة، حيث (شبه حال فاعلها في كونه متلبسا بوسوسة الشطان بهيئة الشيطان يمشـــــي و العمل بأمره يتبع خطى ذلك الشيطان. ففي قوله تعالى " لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان " تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة معقولة، إذ لا يعرف السامعون للشيطان خطوات حتى ينهوا على إتباعها، و فيه تشبيه وسوسة الشيطان في نفوس الذين جاءوا بالإفك بالمشي)[1].

إن الشيطان عدوّ مضل مبين، ولأن قدرته على غواية الإنسان كبيرة وعظيمة، فإنه من يتقبل وساوسه،ولم تكن له حصانة إيمانية، أمر بالفحشاء و المنكر، وهذا أقبح من فعل ذلك فحسب،ولأن الشيطان كذلك ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[2]. لذلك لا بد من الاستعانة بالله وطاعته، فيكون منه العون.

و الشيطان كما دلت الآية يتدرج في إغوائه ﴿ لا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ من الأقل إلى الأكثر ومن الشر اليسير إلى الأعظم، ومن محبة الفحشاء إلى فعلها إلى الأمر بها، يقول الصابوني : شبه سلوك طريق الشيطان و السير في ركابه بمن يتبع خطوات الآخر خطوة خطوة بطريق الاستعارة)[3].

فليعرف المؤمن عدوه الشيطان،و ليتفطن لوساوسه، إنه مضل مبين.

*- قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾[4].

هذه الآية تبين أن أعمال من كفروا، وإن كانت نافعة في الدنيا، فهي في الآخرة محبطة،لا تنفع أصحابها، كالظمآن في الصحراء يبحث عن ماء، فيرى سراباً فيأتيه، فإذا هو لا شيء، ولقد رأينا في الفصل الأول، عند

[1] التحرير و التنوير : ج18، ص177.
[2] النور 21.
[3] صفوة التفاسير : ج2، ص338.
[4] النور 39.

الحديث عن التشبيه وأثره في المعنى، أن الآية اشتملت على تشبيه تمثيلي، و هي بالإضافة إلى ذلك، تشمل على استعارة مكنية.

فقوله تعالى ﴿ووجد الله عنده﴾ ، هكذا يفاجأ الكافر في الآخرة، بحساب الله وعذابه، عكس ما كان يتوقع، ومفاجأة (الكافر بالأخذ و العتل من وجد الله أو بتكوين الله، تشبه مفاجأة من حسب أنه يبلغ الماء للشراب فيبلغ إلى حيث تحقق أنه لا ماء، فوجد عند الموضع الذي بلغه من يترصد له لأخذه أو أسره، فهنا استعارة مكنية إذ تشبه أمر الله أو ملائكته بالعدو، و رمز إلى الحدّ بقوله ﴿فوفاه حسابه﴾[1]. جاء في (روح المعاني): أن بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل قد تم بقوله تعالى ﴿لم يجده شيئا﴾ ، وقوله تعالى ﴿و وجد﴾ بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة و القنوط فقط كما هو شأن الظمآن، ويظهر أنه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال مالا قدر للخيبة عنده أصلا فليست الجملة معطوفة على﴿لم يجده شيئا﴾ ، بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم عينا ولا أثرا،كيف لا وأن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، حكم بأنها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا كأنه قيل، حتى إذا جاء الكفرة في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا و وجدوا الله أي حكمه وقضاءه عند المجيء[2]. وجاء في (تفسير الطبري): ﴿و وجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ أي: ووجد الكافربه بالمرصاد فوفاه يوم القيامة حساب أعماله[3].

والمستفاد مما مضى، أنه يجب على المسلم أن ينظر في أمر عقيدته، فلا خير في عمل لا توجد معه.

---

[1] التحرير و التنوير : ج18، ص254.

[2] روح المعاني: م6، ص181.

[3] مختصر تفسير الطبري: محمد علي الصابوني، م2، ص100.

ثانيا: اختيار اللفظ المستعار :

*- **قوله تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** أي: لكي تعتبروا و تتعظوا بهذه الأحكام و تعملوا بموجبها[1]،وتظل محفوظة لا تنسى. و التذكر (خطور ما كان منسيا بالذهن و هو هنا مستعار لاكتساب العلم من أدلته اليقينية بجعله كالعلم الحاصل من قبل فنسيه الذهن، أي العلم الذي شأنه أن يكون معلوما، فشبه جهله بالنسيان وشبه علمه بالتذكر)[2]. و في هذا ترغيب في تعلم هذه السورة، و مذاكرة معانيها باستمرار، لما اشتملت عليه من أحكام فيها خير الدنيا وخير الآخرة.

*- **قوله تعالى﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾**[3] : لما كانت جريمة الزنا من الجرائم عظيمة الضرر، كانت العقوبة رادعة تتناسب و خطورة هذه الجريمة، الجلد مائة جلدة لغير المحصن والرجم لمن كان محصنا[4]. هذه العقوبة تتناسب أيضا و الهدف المقصود من تشريعها، ألا و هو تأديب المسلم أدب العفة بتطهيره و تطهير المجتمع من ويلات الفواحش، لذلك لا بد من تطبيق الحد كما هو بلا زيادة ولا نقص، ودون رأفة ﴿و لا تأخذكم بهما رأفة﴾ . جاء في زاد المسير في معنى ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ قولان: أحدهما: لا تأخذكم بهما رأفة، فتخففوا الضرب، ولكن أوجعوهما . والثاني: لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها[5].

والأخذ (حقيقته الاستيلاء، و هو هنا مستعار لشدة تأثير الرأفة على المخاطبين وامتلاكها إرادتهم بحيث يضعفون عن إقامة الحد، فيكون كقوله ﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾ فهو يستعمل في قوة ملابسة الوصف للموصوف، و تقديم المجرور على عامله للاهتمام بذكر الزاني و الزانية تنبيها على الاعتناء بإقامة الحد[6].

---

[1] صفوة التفاسير : ج2، ص324.
[2] التحرير و التنوير : ج18، ص144.
[3] النور 02.
[4] زاد المسير في عم التفسر : ج6، ص07.
[5] زاد المسير في عم التفسر :ج6، ص07.
[6] التحرير و التنوير : ج18، ص144.

فلا مجال للعاطفة في تطبيق الحدود الإلهية، فلا عطف و لا رأفة ما دام الحد وضع للتأديب و التربية ولا زيادة أكثر من اللازم ككسر العظم أو سلخ اللحم فهو إذن انتقام، فهو جلد حتى المائة، جلد فيه إيلام وتهذيب وعلاج، فلا مجال للعاطفة في تطبيق الحدود .

ولهذا اختير لفظ الجلد بدل الضرب ﴿ فاجلدوا ﴾ قال القرطبي : الجلد: الضرب، و المجالدة المضاربة في الجلود أو بالجلود، ثم استعير اللفظ (الجلد) بغير ذلك[1]. إذن فهو الضرب في الجلود التي هي موضع الإحساس بالألم.

*- **قوله تعالى ﴿وَ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾**[2] : في الآية الكريمة بيان لحد القذف، فمن اتهم المؤمنة . وكذا المؤمن . العفيفة بالفاحشة، يجلد ثمانين جلدة إلا أن يعترف المقذوف، أو يشهد على ذلك أربعة شهداء، و في التعبير بالإحصان (إشارة دقيقة إلى أن من قذف غير العفيف . من الرجال و النساء . لا يعد حد القذف، وذلك فيما إذا كان الشخص معروفا بفجوره، أو اشتهر بالعبث و المجون، فحد القذف إنما شرع لحفظ كرامة الإنسان الفاضل، ولا كرامة للجاني الفاسق، فتدبر السر الدقيق)[3].

و قد استعمل بدل لفظ الاتهام بالفاحشة لفظ " يرمون " و أصل (الرمي القذف بالحجارة أو بشيء صلب ثم استعير للقذف باللسان لأنه يشبه الأذى الحسي ففيه استعارة لطيفة)[4].

كما قال النابغة : و جرح اللسان كجرح اليد .

وكقول الشاعر :

رماني بأمر كنت منه و والدي * بريئا ومن أجل الطوي رماني

أي اتهمني بشيء أنا منه بريء[5].

---

[1] روائع البيان: ج2، ص56.
[2] النور 04.
[3] روائع البيان: ج2، ص59.
[4] صفوة التفاسير :ج2، ص330.
[5] روائع البيان: ج2، ص55.

إذن فكما أن القذف بالحجارة يضر و يترك ألما، فكذا القذف باللسان و الاتهام بالفاحشة يضر معنويا .

*- قوله تعالى : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ . . . ﴾[1].

لقد تحدث الناس معظم الناس وخاضوا في الإفك، كل فرد، وكل أسرة - إلا من رحم الله - ربما بعضهم تكلم ولم يصدق، لكنه تكلم و خاض فيه، حتى المؤمنون، ناهيك عن المنافقين، هذا المعنى دلت عليه لفظة ﴿ أفضتم ﴾ فالإضافة في القول (مستعار من إفاضة الماء في الإناء، أي كثرته فيه، فالمعنى: ما أكثرتم القول فيه والتحدث به بينكم)[2]. و فيه دلالة على أن الناس حينذاك اهتموا بالأمر كثيرا، حتى صار حديث العامة والخاصة، و حديث الساعة، و فيه إشارة إلى ما بلغ المنافقون بإشاعتهم هذه، فحتى المؤمنين خاضوا في الأمر .

*- قال الله تعالى ﴿ أَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[3].

ذكر الله تعالى قبل هذه الآية أهم صفات المنافقين والتي منها: قولهم بلسانهم أننا آمنا، لكنهم فعلا هم معرضون يرفضون الاحتكام إلى دينه، خاصة إذا كان الحق عليهم لا لهم وما هؤلاء بالمؤمنين ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾[4].

في هذه الآية التي بين أيدينا ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ . بيان سبب إعراض ورفض المنافقين لحكم الله تعالى، فما هذا السبب ؟ أهو مرض أصاب قلوبهم ؟ أم هوشك في الوحي أو الموحى إليه ؟ أم خوف من ظلم الله لهم ورسوله ؟ أم شيء آخر ؟

نذكر أولا سبب نزول هذه الآية،ثم نذكر بعض الصور البيانية إن وجدت، والقضايا البلاغية فيها .

---

[1] النور 14.

[2] التحرير و التنوير : ج18، ص169.

[3] النور 50.

[4] النور 47، 48 و 49.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا مبارك، حدثنا الحسن قال: كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلى النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ وهو محق، أذعن وعلم أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سيقضي له بالحق، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعرض. و قال: انطلق إلى فلان، فأنزل الله هذه الآية. فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما كان بينه وبين أخيه شيء فدعي إلى حكم من حكام المسلمين فأبى أن يجيب، فهوظالم لا حق له[1].

وجاء في أسباب النزول: قال المفسرون: نزلت هذه الآية[2] و التي بعدها في بشر المنافق وخصمه اليهودي، حين اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول إن محمدا صلى الله عليه وسلم يحيف علينا[3].

إذن لقد نزلت الآية لتعالج واقعا معينا، واقع من آمنوا بأقوالهم ولم تؤمن قلوبهم، وأعرضوا عن ربهم لأفعالهم، وتكشف عن فساد سريرتهم، و تنبه بذلك المؤمنين الصادقين إلى الحذر وأخذ الحيطة من مكرهم وغدرهم.

بعد ذكر سبب النزول، نعود للحديث عن الصورة البيانية الواردة فيها وأثرها في المعنى.

لماذا أعرض المنافقون(ويعرضون)عن حكم الله و حكم رسوله عليه السلام " أفي قلوبهم مرض . . . " ؟ أبسببَ مرض قلوبهم أعرضوا ؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما المقصود بالقلوب ؟ ولماذا جيء بلفظ " مرض " بدل (فساد) أو لفظ آخر ؟ قيل (القلوب: العقول و المرض مستعار للفساد أو الكفر)[4]. فالمعنى إذن أنه من أسباب إعراض المنافقين هو فساد تصورهم وكفرهم بالله تعالى أو بالحساب. فالاستفهام هنا إذن هو تقريري وليس إنكاري " أفي قلوبهم مرض ".

---

[1] تفسير ابن كثير : ج5، ص116.

[2] الآية هي: " و يقولون امنا بالله و بالرسول و أطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك و ما أولئك بالمؤمنين" (النور 47).

[3] أسباب النزول: ص188.

[4] التحرير و التنوير : ج18، ص271.

إن الجسم المريض المعلول لا يرضى من صاحبه أداء كثير من الواجبات، وكلما كان المرض خطيرا وعظيما ومستمرا، كلما كان صاحبه أبعد عن القيام بأبسط الواجبات، بل و يعيش عالة على غيره ولأجل الشفاء لا بد من التداوي، فالمرض مرفوض. فكيف إذاكان هذا المرض قد أصاب القلب، هذا المرض الذي هو فساد قد أصاب العقل، فصار القلب فاسدا، فأي فكرة صائبة تتولد عنه ؟ وأي تفكير سليم ينشأ عنه ؟ وأي خير يرجى من إنسان فاسد عقله ؟ فاسد اعتقاده ؟ فهو يرى بعقله الصورة مقلوبة، الحق باطلا، و الباطل حقا، كمن مرض بجسده، ففسد ذوقه، فمهما أتيته بطعام لذيذ صنعه أمهر وأشهر الطاهين، فهو لا يستلذه بل ويرفضه، فهل المشكلة في الطعام أم في المريض ؟ فكذا من فسد عقله أي تصوره، فمهما أتيته من أدلة قاطعة بينة تقول له : الله حق و القرآن حق و الرسول حق، فهو لا يرى ذلك حقا بل يراه باطلا، هذا إن رآه.

فقد جيء بهذا اللفظ " مرض " للذم ولبيان أنهم بحاجة إلى علاج، فهم مرضى في مجتمع مسلم سليم.

والزمخشري رحمه الله يقرر أن المرض الذي أصاب قلوبهم (النفاق) أحد أسباب إعراضهم.[1] فهو يقرر أن مرض قلوبهم بالنفاق و الكفر من أسباب الإعراض. وسنفصل القول أكثر في الفصل الموالي الخاص بالكناية في مسألة الإضراب.

إذن فمرض القلوب ليس هو المرض المادي الخاص بمضغة القلب، وإنما هو مستعار للفساد، فساد الاعتقاد، وهو الكفر والنفاق، فهل ثمة من معان بليغة ؟ و ما يراد بلفظ " مرض " ؟.

جاء في التفسير الكبير: الأقرب أنه تعالى ذمهم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق[2]. و في الظلال: " فمرض القلب جدير بأن ينشئ مثل هذا الأثر، وما ينحرف الإنسان هذا الانحراف وهو سليم الفطرة. إنما هو المرض الذي تختل به فطرته عن استقامتها، فلا تتذوق حقيقة الإيمان و لا تسير على

[1] الكشاف: ج3، ص72.
[2] التفسير الكبير : ج23، ص21.

منهجه القويم "[1]. وهي إشارة جيدة من سيد قطب رحمه الله، حين ذكر أن مرض القلب، هو فساد الفطرة وانحرافها .

فالمنافقون إذن، فاسد تصورهم، منحرفة فطرتهم، ولذلك فلا عجب أن تكون قصة الإفك من نسجهم، ولا عجب أن يعرضوا عن حكم الله وحكم رسوله عليه السلام.

و في قوله تعالى ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ ملاحظة جديرة بالتسجيل، حيث أوتي في جانب هذا الاستفهام (بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات المرض في قلوبهم)[2]. و فيه إشارة إلى انه مرض خطير عميق يدل على الفساد الكبير لتصور وفطرة المنافقين.

*- قال الله تعالى: ﴿وَ الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَ أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

في الآية الكريمة بيان لرفع الحرج عن المرأة المسنة، في ارتداء اللباس الشرعي كما لو كانت شابة الجلباب بمواصفاته و إحكام وضع الخمار في المواضع التي يجب فيها التستر. فالمرأة المسنة لا بأس أن تظهر بعض الزينة من غير تبرج، كإظهار الشعر و الذراعين. ومما يلاحظ في الآية ذكر لفظ " القواعد "فماذا يعني ؟ ولماذا اختياره ؟ جاء في (روائع البيان): قال ابن قتيبة: سميت العجائز قواعد لأنهن يكثرن من القعود في البيت لكبر سنهن. وقال ابن ربيعة : سميت العجائز قواعد لقعودهن عن الاستمتاع حيث أيسن[4]. و قال الطبري:"القواعد": اللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر، فلا يطمعن في الأزواج ولا يطمع الأزواج فيهن[5]. وفي (معاني القرآن): القواعد من النساء اللائي لا يرجون نكاحا، لا يطمعن أن يتزوجن من الكبر [6].

[1] في ظلال القرآن: م4، ص2526.
[2] المرجع نفسه : م4، ص2526.
[3] النور 60.
[4] روائع البيان: ج2، ص208.
[5] مختصر تفسير الطبري: م2، ص104.
[6] معاني القرآن: ج2، ص261.

فلفظ (قاعد) مستعار، فالقواعد جمع (قاعد بدون تأنيث، لأنه وصف نقل لمعنى خـــاص بالنساء وهو القعود عن الولادة و عن المحيض، استعير القعود لعدم القدرة لأن القعود يمنع الوصول إلى المرغوب وإنما رغبة المرأة في الولد و الحيض من سبب الولادة، فلما استعير لذلك و غلب في الاستعمال صار وصف قاعد بهذا المعنى خاصا بالمؤنث، فلم تلحقه هاء التأنيث لانتفاء الداعي إلى الهاء من التفرقة بين المذكر والمؤنث، وقد بيّنه قوله ﴿اللائي لا يرجون نكاحا﴾ و ذلك من الكبر)[1].

و لعل من دلالات اختيار هذا اللفظ " القواعد "، أن المرأة و إن كبرت، فإن كان في نفسها ميل للاستمتاع، أو يمكن فيها ما يجلب الرجال، حرمت من الرخصة، و لكن عليها الالتزام باللباس الشرعي بشروطه.

و في هذه الآية الكريمة لطيفة حسنة في قوله تعالى : ﴿و أن يستعففن خير لهن﴾ فإذا كانت العجوز كبيرة السن، مرخص لها في التخفيف من ثيابها ومع ذلك غير مظهرة للزينة التي تجلب الرجال، بل الأفضل لها أن تترك لباسها الشرعي أمام الأجانب كما لوكانت شابة، فكيف بالشابة ؟

جاء في (روح المعاني) : وكأن الغرض من ذلك أن هؤلاء استعفافهن عن وضع الثياب في حق القواعد من الاستعفاف إيذانا بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة هذا في القواعد فكيف بالكواعب[2]. فأين مؤمنات هذا الزمن من هذا الأدب الرفيع أدب العفة و السرّ.

*- قال الله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ ٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[3].

فلله خلق كل شيء، فكل شيء ملك له، بما في ذلك الإنسان، وهو يعلم عنه كل شيء ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَ مَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[4]. وهو علم معناه الإحصاء و الحساب ثم الجزاء.

---

[1] التحرير و التنوير : ج18، ص297.
[2] روح المعاني: م6.
[3] النور 64.
[4] غافر 14.

و الملفت للنظر قوله تعالى : ﴿قد يعلم ما أنتم عليه﴾ و﴿ يوم يرجعون إليه﴾ فنلاحظ انتقال من الخطاب إلى الغيبة فما السر؟ قيل أن السر في ذلك أنه يجوز أن يكون للمنافقين على طريق الإلتفات، ويجوز أن يكون "عليه" عاما و"يرجعون" للمنافقين[1]. و في (التحرير والتنوير): ﴿ما أنتم عليه﴾: الأحوال الملابسين لها من خير وشر، فحرف الاستعلاء مستعار للتمكن[2].

فماذا يخفي المنافق في نفسه، والله مطلع عليه ﴿ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[3].

المبحث الثاني: بين الحقيقة و المجاز:

- قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[4].

في الآية حديث عن تسبيح المخلوقات لله تعالى، هل هو تسبيح على سبيل الحقيقة، بكيفية يعلمها الله، أم هو تسبيح على سبيل المجاز، بمعنى الانقياد لله تعالى، و السير وفق القوانين التي وضعها الله تعالى؟

جاء في الكشاف :﴿صلاته وتسبيحه﴾ والصلاة الدعاء ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون إليها[5]. فالزمخشري ها هنا يرى أن دعاء وتسبيح الطير يكون حقيقة، والله على كل شيء قدير. قال الفرّاء : ﴿و الطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾: ترفع كلا بما عاد إليه من ذكر و هي الهاء في (صلاته و تسبيحه) و إن شئت جعلت العلم لكل، أي كلّ قد علم صلاته و تسبيحه. فإن شئت جعلت الهاء صلاة نفسه وتسبيحها. وإن شئت تسبيح الله وصلاته التي نصليها له و تسبيحها .

[1] الكشاف: ج3، ص80.
[2] التحرير و التوير: ج18، ص312.
[3] الملك 14.
[4] النور 41.
[5] الكشاف: ج3، ص70.

و في القول الأول : كل قد علم الله صلاته وتسبيحه. و لو أتت كلا قد علم بالنصب على قولك: علم الله صلاة كل و تسبيحه فتنصب لوقوع الفعل على راجع ذكره. أنشدني بعض العرب:

كلا قرعنا في الحروب صفاته[1] * ففرتم وأطلتم الخذلانا

و لا يجوز أن تقول: زيدا ضربته، وإنما جاز في كلّ لأنها لا تأتي إلا وقبلها كلام، كأنها متصلة به[2]. فالمعنى المستفاد: إما أن الله علم صلاة وتسبيح من في السموات و الأرض، بما في ذلك الطير، وإما المعنى : كل من في السموات و الأرض حتى الطير قد عرف و اهتدى إلى ما طلب منه من صـــــــلاة

و تسبيح. جاء في (صفوة التفاسير): ﴿كل قد علم صلاته و تسبيحه﴾: أي كل من الملائكة و الإنس والجن و الطير قد أرشد و هدي إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله، وما كلف بـــه من الصـــــــلاة

و التسبيح[3]. و في (قاموس القرآن): التسبيح : التنزيه[4]. جاء في (التفسير الكبير) : ﴿كل قد علم صلاته و تسبيحه ﴾ فيه ثلاثة أوجه: الأول: المراد كل قد علم صلاته وتسبيحه قالوا ويدل عليه قوله سبحانه ﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾ و هو اختيار جمهور المتكلمين. و الثاني: أن يعود الضمير في الصـــــــلاة والتسبيح على لفظ كل أي أنهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة و التسبيح. و الثالث: أن تكون الهاء راجعة على ذكر الله يعني قد علم كل مسبح و كل مصل صلاة الله التي كلفه إياها[5].

فالقول الأول معناه أن الله يعلم طريقة صلاة وتسبيح المخلوقات، فتسبيح الطير إذن مجازي و ليس حقيقي. و أصحاب هذا الرأي يستبعدون أن يكون هذا الرأي حقيقي و الطير تعرف ماذا تقول و ماذا كلفت به وأنها عارفة بالله و بما يجب له، لأنها لو كانت كذلك لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا وإشارتنا لكنها ليست كذلك، فإنا نعلم بالضرورة أنها أشد نقصانا من الصبي الذي لا يعرف هذه الأمور فلأن يمتنع ذلك فيها أولى، وإذا

[1] الصفة: الصخرة الملساء. ويقال قرع صفته إذا أذاه و نال منه.
[2] معاني القرآن: ج2، ص255.
[3] صفوة التفاسير : ج2، ص242.
[4] قاموس القرآن: ص226.
[5] تفسير الفخر الرازي: ج23، ص10.

ثبت أنها لا تعرف الله تعالى استحال كونها مسبحة له بالنطق، فثبت أنها لا تسبح الله إلا بلسان الحال[1]. والقول الثاني و الثالث المعنى أن التسبيح حقيقي و(لا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءها كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة)[2]. و يؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ و إن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾[3].

و في (روح المعاني) أن الآية اشتملت على استعارة تمثيلية فقوله تعالى ﴿ كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ استئناف جيء به لبيان كمال عراقة كل واحد مما ذكر من الطير و ما اندرج في عموم ﴿من في السموات و الأرض﴾ في التنزيه ورسوخ قدمه فيه، تمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الأفاعيل فيفعلها عن قصد و نية عن اتفاق بلا روية. وقد أدمج سبحانه في تضاعيفه الإشارة إلى أن كل واحد من الأشياء المذكورة مع ذكر من التنزيه به حاجة ذاتية إليه تعالى واستفاضة منه عز وجل لما يهمه بلسان استعداده، وتحقيقه الكل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل عن استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه و بين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة، وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء و الابتهال لتكميل التمثيل، وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عنه في الرتبة، و الكلام عليه استعارة تمثيلية و المضاف إليه الذي ناب عنه تنوين " كل " ما يشمل المذكور المصرح به و المندرج تحت العموم حتى الجماد، وضمير عَلِمَ وكذا ضمير﴿ صلاته و تسبيحه ﴾ لكل واحد[4].

ومهما يكن المعنى المقصود، فان المراد هو تقبيح شأن الكافرين الذين خالفوا نظام الكون المبني على أساس طاعة المخلوق حتى الطير للخالق، وما فيه أن لا يسبح الكافر وقد سبح من في السموات و الأرض.

---

[1] تفسير الفخر الرازي: م23، ص11.

[2] مختصر تفسير الطبري: م2، ص100

[3] الإسراء 44.

[4] روح المعاني: م6، ص188.

يقول سيد قطب رحمه الله : و إن الكون ليبدو في هذا المشهد الخاشع متجها كله إلى خالقه، مسبحا بحمده، قائما بصلاته، وإنه لكذلك في فطرته، و في طاعته لمشيئة خالقه الممثلة في نواميسه، وان الإنسان ليدرك حين يشق هذا المشهد ممثلا في حسه كأنه يراه، وإنه ليسمع دقات هذا الكون وإيقاعات تسابيحه لله. وإنه ليشارك كل كائن في هذا الوجود صلاته ونجواه. وكذلك كان محمد ابن عبد الله ـ صلاة الله وسلامه عليه ـ إذا مشى سمع تسبيح الحصى تحت قدميه. وكذلك كان داود ـ عليه السلام ـ يرتل مزاميره فتؤوب الجبال معه والطير[1].

وهكذا ما أجمل هذه الصورة المرسومة في هذه الآية، حين ترى الملائكة وكثيرا ممن خلق الله، و الطير والنمل، وغير ذلك، تسبح ربها وخالقها مقالا أو حالا، وترى بجنب ذلك الكافر الذي يدّعي في العلم فلسفة و في المدنية تقدما، غافلا عن ذكر ربه، منغمسا في شهواته . ألا فليتأمل هذا الكافر الغافل وليرجع إلى ربه، وإلا فهو من الأنعام أضل.

رأينا من قبل أن الآية فيها صورة بيانية (استعارة تمثيلية)، وهناك آخرون يقولون بأن فيها استعارة تبعية في (علم) وبيان ذلك: إنه يشبه دلالة كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحق والمقال وميل كل منهم إلى النفع اختيارا أو طبعا، بعلم التسبيح و الصّلاة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة، والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة و يشتق منه لفظ علم. و جوز أيضا أن يكون الصلاة مجازا عـــن الميل و التسبيح عن الدلالة[2].

ويعلق على هذا الرأي الألوسي بقوله : و من له أدنى ذوق لا يرتضيه[3]. وذلك بإطلاق الميل على العلم.

– قال الله تعالى : ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[4].

[1] في ظلال القرآن: م4، ص2522.
[2] روح المعاني: م6، ص188.
[3] المرجع نفسه: م6، ص188.
[4] النور 44.

من الآيات الدالة على وجود الله وقدرته وعظمته اختلاف الليل و النهار و تعاقبهما ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾[1] و ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2].

قوله تعالى ﴿يقلب الليل و النهار﴾ أي: يغير أحوالهما بالطول و القصر، والبرودة والحرارة، وغير ذلك[3].

جاء في التحرير و التنوير: تقليب الليل و النهار تغيير الأفق من حالة الليل إلى حالة الضياء ومن حالة النهار إلى حالة الظلام. فالمقلب هو الجو بما يختلف عليه من الأعراض، ولكن لما كانت حالة ظلمة الجو تسمى ليلا وحالة نوره تسمى نهارا، عبر عن الجو في حالتيه بها، وعدي التقليب إليهما بهذا الاعتبار[4]. وجيء بلفظ " يقلب " المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد.

و مما لا شك فيه أن التقليب، لا يقصد به التقليب المادي للأشياء الذاتية (و إنما استعير لتعقب الليل والنهار[5].

وقوله تعالى﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾

اختلف في تعيين المشار إليه ﴿ في ذلك﴾، أهو تقليب الليل و النهار فحسب ؟ أم ذكر من قبل ككل من نسيج الطير وتكوين السحب و إنزال المطر ثم تقليب الليل و النهار ؟

جاء في التحرير و التنوير: الإشارة الواقعة في قوله ﴿ إن في ذلك﴾ إلى ما تضمنه فعل ﴿يقلب﴾ من المصدر. أي إن في التقليب، ويرجح هذا القصد ذكر العبرة بلفظ المفرد المنكر[6]. وقيل: هذا تعديد الدلائل على

---

[1] يس 37.
[2] يس 40.
[3] المصحف الميسر: ص465.
[4] التحرير و التوير: ج18، ص264.
[5] صفوة التفاسير: ج2، ص346.
[6] التحرير و التوير: ج18، ص264.

ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات و الأرض وما يطير بينهما ودعاءهم له وتسخير السحاب إلى آخر ما ذكر، فهي براهين لائحة على وجوه ودلائل واضحة على صفاته لمن نظر وتدبر[1].

و القول الأخير هو الأرجح، لأن الله ذكر في البداية تسبيح من في السموات و الأرض بما في ذلك الطير، ثم ذكر السحاب وكيف تكون، ثم نزول المطر[2]. ولم يذكر كونها دلائل القدرة والوحدانية ثم ذكر بعدها هذه الآية التي ذكرت تعاقب الليل و النهار.

ثم بيّن الله أن في ما ذكر من قبل لعلامات على عظمة وقدرة الخالق (يقول الإمام النسفي: ﴿إن في ذلك﴾: في إزجاء السحاب و إنزال الودق و البرد وتقليب الليل و النهار ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ لذوي العقول وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته حيث ذكر تسبيح من في السموات والأرض وما يطير بينهما). جاء في تفسير الكبير: ﴿إن في ذلك لعبرة ﴾ المعنى: أن فيما تقدم ذكره دلالة لمن يرجع إلى بصيرة، فمن هذا الوجه يدل أن الواجب على المرء أن يتدبر ويتفكر في هذه الأمور، ويدل أيضا على فساد التقليد[3].

يقصد الرازي أي فيما ذكر من تسبيح الطير وإزجاء السحاب وإنزال المطر و تقليب الليل و النهار. و قال الإمام الطبري: ﴿إن في ذَلِكَ لعبرة لأولي الأبصار﴾: إن فيما ذكر من آيات الله، لعظمة لمن اعتبر لمن له فهم وعقل، لأن ذلك يدل على أنه له مدبرا ومصرفا لا يشبهه شيء[4]. فهو يقول: من آيات الله التي ذكرت من قبل، تسبيح الطير، إزجاء السحاب، إنزال المطر ثم يقلب لليل و النهار.

ويعقب الأستاذ المودودي على هذه الآية بقوله: قد مرّ في هذه السور من قبل أن الله هو نور السموات والأرض، ولكن لا يوافق للاهتداء لهذا النور إلا الأفراد الصالحون من أهل الإيمان، و لا يعمه سائر الأفراد على كون هذا النور شاملا محيطا، إلا في الظلمة. و ها قد عدد الله تعالى في هذه الآيات طائفة من آثاره المرشدة إلى

---

[1] تفسير النسفي: ج3، ص149.

[2] الآية المشار إليها 43.

[3] التفسير الكبير : ج23، ص15.

[4] مختصر تفسير الطبري: م2، ص101.

نوره، إذا نظر فيها الإنسان بعيني قلبه، فإن له في وقت أن يرى الله يعمل في كل جهة، وأما من كان أعمى قلبا، فمهما اجتهد وبالغ في النظر، لا يستطيع أن يراه و لو رأى بكل وضوح علم الأحياء وعلم طبائع الحيوانات و غيرهما من العلوم تعمل في هذا الكون[1].

فلتكن للمؤمن فترات للتأمل، فإنما ينشأ الإيمان عنه ويزداد في القلب ويكبر، فيصلحه ويصلح أعماله.

- قال الله تعالى: ﴿وَ اللهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

في هذه الآية ذكر لواحدة من الآيات الكبرى الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، خلق كثيرا من الدواب المتنوعة و المختلفة،كلها من ماء أي من نطفة.

ذكر الله في آية أخرى أنه تعالى خلق الدواب من الماء بتعريف لفظ "ماء "، بينما هنا قال: ﴿من ماء﴾فلم كان ذلك ؟

نكر ماء ههنا و عرفه في قوله ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[3]. لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة، أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم و منها ناس[4]. أما في قوله ﴿من الماء كل شيء حي﴾ فقد قصد ثمة معنى آخر، وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء، و ذلك أنه هو الأصل وإن تخللت بينه وبينها وسائط[5]. قال الإمام ناصر الدين أحمد: المقصد أنه خلق الأشياء المتفقة في جنس الحياة من جنس الماء المختلف الأنواع، فذكر معرفا ليشمل أنواعه المختلفة، فالآية في الأول لإخراج المختلف من المتفق[6].

---

[1] تفسير سورة النور: الأستاذ المودودي، ص208

[2] النور 45.

[3] الأنبياء 30.

[4] الكشاف: ج3، ص71.

[5] المصدر نفسه: ج3، ص71.

[6] الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي: ج3، ص71، دار المعرفة للباعة و النشر ، بيروت، لبنان.

كما يلاحظ في الآية ذكر الأجناس الثلاثة مرتبة، من يمشي على بطنه ثم من يمشي على رجلين ثم من يمشي على أربع، فهل لذلك سبب وحكمة ؟

حكمة ذلك أن الله تعالى،قدم (ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع)[1].

وثمة ملاحظة أخرى جديرة بالذكر، وهي ان الذي يمشي على بطنه يزحف، فلم اطلق المشي على الزحف؟ سمى الزحف على البطن مشيا على (سبيل الاستعارة، كما قالوا في الأمر المستمر: قد مشى هذا الأمر، و يقال فلان لا يتمشى له أمر و نحوه)[2]. وقال النسفي: و تسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا مجاز للمبالغة في إظهار القدرة وإنها تزحف بلا آلة كشبه المشي وأقوى، ويزيد ذلك حسنا ما فيه من المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين[3].

إن في تعدد المخلوقات وكثرتها وتنوعها لآيات لقوم يعقلون، وهي على كثرتها و تنوعها تسبح ربها ﴿يسبح لله من في السموات والأرض ﴾ فثمة ترابط وتناسق بين هذه الآية و التي قبلها، ففي الأولى إجمال[4]، وهنا نوع تفصيل.

[1] الكشاف: ج3، ص71.
[2] المصدر نفسه: ج3، ص71.
[3] تفسير النسفي: ج3، ص193.
[4] النور 41.

المبحث الثالث: من أبعاد الحذف والإضمار:

أولا: فائدة الإضراب :

قال الله تعالى ﴿ أَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[1].

في هذه الآية والتي قبلها حديث عن المنافقين وصفاتهم، هؤلاء المنافقون الذين (ينتسبون إلى الإيمان قولا، ويرفضون تنفيذ مقتضاه عملا، وبذلك يسيئون إلى المؤمنين الصادقين بعد إساءتهم إلى أنفسهم)[2].

تناولنا هذه الآية من قبل، عند الحديث عن اختيار اللفظ المستعار " مرض " وسنذكر هاهنا مسائل لمتذكر من قبل، وأهمها فائدة استعمال حرف " بل " و سنورد الخلاف الوارد بين أهل العلم من المفسرين ثم نرجح ما نراه الأصوب.

جاء في المصحف الميسر: " بل " حرف يفيد إبطال ما قبله وإثبات ما بعده، أي أن الحال لهم على الإعراض عن حكمه صلى الله عليه وسلم، ليس شيئا مما تقدم، بل هو شدة ظلمهم لأنفسهم وللحق بإصرارهم على العناد والمكابرة[3].

فحسب هذا الرأي سبب الإعراض عن حكم الرسول ـ عليه الصلاة و السلام ـ، لا يرجع إلى مرض القلوب، ولا للشك في أحد أركان الإيمان. ولا لخوفهم من ظلم الرسول لهم، وإنما يرجع إلى ظلمهم وعنادهم ومكابرتهم.

ويرى القاسمي رحمه الله أن " بل " تفيد الإضراب الانتقالي، لا لنفي ما قبلها وإثبات ما بعدها، حيث يقول: الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة و " أم " من الأمور الثلاثة، بل هو منشئيتها له، كأنه قيل: أذلك، أي إعراضهم المذكور، لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم، أم لأنهم ارتابوا في أمر نبوته عليه السلام مع ظهور

---

[1] النور 50.

[2] مع الله في صفاته و أسمائه الحسنى : حسن أيوب، ص25، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.

[3] المصحف الميسر : ص466.

حقيقتها ؟ أم لأنهم يخافون الحيف ممن يستحيل عليه ذلك ؟ إشارة إلى استجماعهم تلك الأوصاف الذميمة، التي كل واحد منها كفر ونفاق. ثم بيّن اتصافهم مع ذلك بالوصف الأسوأ وهو الظلم لأنفسهم ولغيرهم. فالإضراب انتقالي. والمعنى: دع هذا كله، فإنهم هم الكاملون في الظلم الجامعون لتلك الأوصاف[1].

و يؤيد هذا الرأي ابن عاشور رحمه الله، حيث يقول : " بل " للإضراب الانتقالي من الاستفهام التنبيهي إلى خبر آخر . . وليست " بل " هنا للإبطال لأنه لا يستقيم إبطال جميع الأقسام المتقدمة[2]. ومعنى هذا أن الانتقال في الآية (تدرج في عد أخلاقهم)[3]. فهم من النفاق إلى الشك في صدق النبوة إلى الخوف من الظلم من الحكم إلى الظلم لأنفسهم و لغيرهم.

ثانيا: فائدة الحذف :

*- **قال الله تعالى:** ﴿وَ لو لَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللهَ تواب حَكِيمٌ ﴾[4].

بعد ذكره تعالى للأحكام المتعلقة بالزنا، و بالقذف الذي يحدث بين المسلمين عموما، أو بين الأزواج ذكر الله تعالى هذه الآية، معلنا أنه ذو فضل على المؤمنين، وذو رحمة واسعة بهم، بما شرع من أحكام وبما وضع من حدود، تلك الأحكام وهذه الحدود، لأجل تربية النفس، وبناء أسرة مستقرة، و تكوين مجتمع سليم و ما أعظمها من حكم ومقاصد؛ و ما أحسنها من أحكام وحدود، و في الآية (التفات إلى خطاب الرامين و المرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه. وجواب " لولا " محذوف لتهويله و الإشعار بضيق العبارة عن حصره. ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه، لأنه أعرف بحال زوجته، وأنه لا يفتري عليها لاشتراكه في الفضاحة)[5].

---

[1] تفسير القاسمي: م7، ج11، ص226.
[2] التحرير و التنوير : ج18، ص272.
[3] المرجع نفسه: ج18، ص271.
[4] النور 10.
[5] تفسير البيان: م6، ص122.

إذن فحذف جواب " لولا " هنا يفيد التهويل و الإشعار بضيق العبارة عن حصره، فلو لا فضل الله على المؤمنين وخاصة الزوجين بما شرع من أحكام الملاعنة فيكون الستر لا الفضح، لكان الهلاك ولحلت الفوضى، وما لا نعلم من الفتن التي يمكن أن تحل بالمؤمنين.

وجاء في (الكشاف): وجواب " لولا " متروك و تركه دال على أمر يكتنفه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به[1]. فترك الجواب ههنا وحذفه يفيد أيضا عظمة فضل الله تعالى على المؤمنين بما شرع.

***- قال الله تعالى :** ﴿وَ لولاَ فَضْلُ اللهِ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

هذه الآية جاءت عقب الحديث عن قصة الإفك التي اختلقها المنفقون، وصدقها بعض المؤمنين ضعاف الإيمان، هذا التصديق المتبوع بالخوف فيه كما تدل على ذلك الآيات من قبل، هذا الفعل مقتضاه العقوبة الشديدة في الدنيا و الآخرة، لأنه فعل مس أطهر بيت، بيت النبوة، لكن الله الموصوف بالرأفة و الرحمة تفضل بالعفو، وحذر من العودة إلى مثل ذلك أبدا، وقد ذكر مثل هذا في الآية العاشرة (و في التكرار مع حذف الجواب مبالغة عظيمة)[3]. و في هذا إشارة إلى الجرم العظيم الذي ارتكب، ولولا فضل الله إذن (لعجل عذاب فاعل ذلك من حيث إشاعة الفاحشة في المؤمنين أو لأهلكهم، و أما مسوغ الحذف فطول الكلام بالمعطوف، و الطول داع للحذف فحذف ذلك، ولدلالة ما تقدم عليه)[4].

وجه الاختلاف :

في الآية العاشرة قال الله تعالى: ﴿ وَ أَنَّ اللهَ توابٌ حَكِيمٌ﴾وفي الآية العشرين قال الله تعالى : ﴿ وأن الله رؤوف رحيم﴾ فما سر الاختلاف ؟ وهل كان يناسب العكس ؟ سبب ذلك (أن الآية الأولى لما انبنت على آية التلاعن وفيها من الستر على المسلمين ممن امتحن بتلك البلية، ومن إخفاء الحكمة في حكم التلاعن

[1] الكشاف: ج3، ص117.
[2] النور 20.
[3] الكشاف: ج3، ص119.
[4] ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل " : ج2، ص886.

وشرعيته على ما استقر عليه أمره، مما يعجز عن فهمه كل معتبر، أعقبت بالصفتين المناسبتين لما ذكرا مما هو غير فان فقيل ﴿والله تواب حكيم﴾ . ولما تقدم قبل الآية الثانية قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ . . . ﴾ وجرى بظاهر هذه الآية من الوعيد ما يشتد خوف كل مؤمن منه، أعقب ذلك بصفتين مشعرتين بأن هذا العذاب باعتقاد حلية تلك المعصية أو التكذيب بالوعيد أو التلبس بما هو كفر، وأنه إن لم يكن شيء من هذا فلا قاطع عن التوبة فقال :

﴿و أن الله رؤوف رحيم﴾ . فقد وضح أن ورود كل من هذه الصفات المعطوفة على ما يجب ويناسب، و أن العكس لا يناسب[1] .

و جاء في (التحرير و التنوير): أن قوله تعالى ﴿ و أن الله تواب حكيم ﴾ تذييل لما مر من الأحكام العظيمة المشتملة على التفضل من الله و الرحمة منه، و المؤذنة بأنه تواب على من تاب من عباده، و المنبئة بكمال حكمته تعالى، إذ وضع الشدة موضعها و الرفق موضعه، وكف بعض الناس عن بعض فلما دخلت تلك الأحكام تحت كل هذه الصفات كان ذكر الصفات تذييلا[2] . أما بشأن قوله تعالى ﴿وأن الله رؤوف رحيم﴾فقد جاء القول : وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة، والإشعار باستتباع صفة الألوهية للرأفة و الرحمة، وتغيير سبكه و تصديره بحرف التحقيق لما أن المراد بيانه اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة[3] .

و هكذا أفاد الحذف التفخيم في الموضعين، ومع ذلك أفاد عظمة فضل الله تعالى على عباده، مع اختلاف التذييل فيهما .

[1] ملاك التأويل : ج 2، ص886.
[2] التحرير و التنوير : ج18، ص168.
[3] تفسير أبي السعود : ج4، ص 102.

الفصل الثالث:

الكناية والتعريض في سورة النور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في هذا الفصل تناولنا الكناية والتعريض، والكناية القرآنية تقوم (بنصيبها كاملا في أداء المعاني وتصويرها خير أداء)[2]، والحديث عن الكناية يأخذ إلى الحديث عن التعريض، والتعريض يفهم من خلال السياق في النص، فلا تعلق له باللفظ، وكل منهما يؤدي معان بليغة، لا تؤدى بالأسلوب الحقيقي الصريح، والتعريض له أثر بليغ في النفوس لأنه يعين صاحبه على إخفاء ما يريد، من عتاب أو نقد أو سؤال أو شكاية حتى لا يفهم مراده إلا من يقصده في التعريض، يقول السكاكي: واعلم أن أرباب البلاغة وأصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر[3]. وقد وردت الكناية كما التعريض، في مواضع شتى من السورة، وفي كل موضع جيء بمعان هامة وأبعاد مختلفة، كالتوجيه بالكناية، والتوبيخ بالتعريض، وسنفصل القول في ذلك في مبحثين: الكناية – التعريض.

المبحث الأول: الكنـــاية :

أولا: البعد التشريعي في الكناية: قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة، بيان لإحدى وسائل الوقاية من الانحراف والوقوع في الفساد وارتكاب الفاحشة، هذه الوسيلة الوقائية هي الستر وعدم إبداء المرأة المسلمة لزينتها أمام غير المحارم ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾، ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ وقد ورد في السنة النبوية ما يعضد هذا المعنى،

---

1 النـــور 31.

2 التعبير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص 201.

3 - مفتاح العلوم، السكاكي، ص 162.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " صنفان من أهل النار لم أرهما :قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس . . ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا "[1]رواه مسلم.

فالنار إذن هي مثوى الكاسيات العاريات اللائي لم يحفظن زينتهن، فأدى ذلك إلى فساد الأخلاق وانحراف العلاقات ، والإضرار النفسي والبدني بالفرد . يقول د . كلود سكوت نيكول: إن المشكلة التي تواجهنا اليوم هي تبدل قيمنا الأخلاقية التي شجعت وتشجع إقامة العلاقات الجنسية المحرمة، وهذه بدورها سببت ازديادا حادا في إصابات الأمراض الناتجة عن الإباحة الجنسية.[2]

ولبيان أهمية و ضرورة الستر في حق المرأة المسلمة أمام غير محارمها جاء قوله تعالى: ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ . و الضرب (تمكين الوضع والمعنى: ليشددن وضع الخمر على الجيوب، أي بحيث لا يظهر شيء من بشرة الجيد، والباء لتأكيد اللصوق مبالغة في إحكام وضع الخمار على الجيب.[3]

فالتعبير بـ ﴿يضربن بخمرهن﴾ بدل يضعن خمرهن، كناية عن إحكام وضع الخمار على الجيب بحيث لا يبقى يظهر شيء من الشعر والنحر وكل الصدر، وقد (كانت المرأة تضع خمارها على رأسها مسبلا علة كتفيها فأمرت أن تضرب به على فتحات درعها حتى تستر العنق والصدر سترا كاملا)[4]. والخمر (بضمتين جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها وينسدل على صدرها والجيوب جمع جيب وهو الصدر)[5]. فالمطلوب إذن (أن يضرب غطاء الرأس على النحر والصدر)[6]. فيكون الستر محكما، ويؤدي الفعل إلى الحكمة التي لأجلها فرض وضع الخمار والستر، وهي وقاية الفرد المسلم من الانحراف، كيف لا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ما

[1] صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (206هـ-261هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ج3، ص 1680، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان.
[2] الإسلام والجنس: فتحي يكن، ص43، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.
[3] التحرير والتنوير : ج18، ص207.
[4] أيسر التفاسير لكلام العلي القدير : أبو بكر جابر الجزائري، م3، ص506، ط4 (1412هـ - 1992م)، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية.
[5] الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ج15، ص112، ط1(1411هـ - 1991م)، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
[6] إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، ج3، ص239، دار الثقافة، الجزائر.

تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"[1]. وفي الآية أحكام فقهية شتى، تطلب في كتب الفقه، لأن غرضنا في هذا البحث ، هو الكشف عن الصورة البيانية المستعملة في السورة وبلاغتها، دون التعمق في المسائل الفقهية.

ثانيا: البعد التربوي في الكناية: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[2]

هذه الآية إحدى الآيات التي وردت في شأن عائشة رضي الله عنها، نزلت تبرئها، وتكشف للمؤمنين كذب المنافقين.

والمعنى العام للآية، أن محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين، تؤدي بأصحابها إلى العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، (في الدنيا بالحد، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرا على ذلك غير تائب).[3]

والذين أحبوا إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، هم المنافقون وعلى رأسهم ابن أبي بن سلول، فعن ابن زيد أن الآية تقصده، فهو الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية له عذاب أليم.[4]

واستنادا إلى قاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" فإن الآية تشمل جميع الذين يحبون إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، والسؤال هنا هو: هل العذاب وجب لمجرد وسوسة وحديث نفس، أم أن المحبة الموجبة للعذاب لها مقصد آخر؟

إن المحبة هنا كناية عن التهيؤ لإبراز ما يجب وقوعه، وجيء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار. وأصل الكناية أن تجمع بين المعنى الصريح ولازمه فلا جرم أن ينشأ عن تلك المحبة عذاب الدنيا وهو حد القذف وعذاب الآخرة وهو أظهر لأنه مما تسحقه النوايا الخبيثة. وتلك المحبة شيء غير الهم بالسيئة وغير

[1] صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (194هـ - 256هـ)، ت : د. مصطفى ديب البغا، ج5، ص1959، .
[2] النور 19.
[3] جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، م8 ،ج18، ص80، دار الفكر ، بيروت، لبنان .
[4] المصدر نفسه، ص80.

حديث النفس لأنهما خاطران يمكن أن ينكف عنهما صاحبهما، وأما المحبة المستمرة فهي رغبة في حصول المحبوب. فالوعيد هنا على محبة وقوع ذلك في المستقبل كما هو مقتضى قوله " أن تشيع" لأن (أن) تخلص المضارع للمستقبل).[1]

فالمحبة هنا كناية عن فساد نية المنافقين، فهم حاقدون عن الإسلام وأهله، كيف لا؟ وهم الذين جاءوا بالإفك.

وهكذا في كل عصر ومصر، من قصد وأراد وأحب إشاعة الفاحشة في المؤمنين كان منافقا وجب في حقه العذاب دنيا وآخرة.

ثالثا: التحذير بالكناية: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[2]

في الآية الكريمة دعوة من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يعادوا الشيطان ولا يتبعوا وساوسه الداعية إلى الشر و الفساد، (فمن شأن الشيطان أن يأمر ويغري أتباعه بالفحشاء والمنكر)[3].

وخطوات الشيطان بمعنى:آثار الشيطان ومذاهبه ومسالكه[4]. فالتعبير فيه كناية. جاء في (روح المعاني):والكلام كناية عن اتباع الشيطان وامتثال وساوسه فكأنه قيل: لا تتبعوا الشيطان في شيء من الأقاويل التي من جملتها إشاعة الفاحشة ومحبتها[5].

---

[1] التحرير والتنوير: ج18، ص184.
[2] النور 21.
[3] رأي الدين بين المثل والمجيب: د.محمد البهي، ص197، دار الفكر، بيروت.
[4] مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، ج2، ص65، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
[5] روح المعاني: م06، ج18، ص124.

وفي الآية الكريمة أكثر من فائدة، منها: أن الإفك الذي جاء به المنافقون إنما هو من وساوس الشيطان، وأن المنافقين اتبعوا الشيطان. ومنها: زكاة النفس إنما تكون بترك الفحشاء والمنكر. قال ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ قال: فبين أن الزكاة إنما تحصل بترك الفاحشة ولهذا قال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ وذلك أن ترك السيئات من أعمال النفس، فإنها تعلم أن السيئات مذمومة ومكروه فعلها، ويجاهد نفسه إذا دعته إليها، إن كان مصدقا لكتاب ربه مؤمنا بما جاء عن نبيه صلى الله عليه وسلم، ولهذا التصديق و الإيمان والكراهة وجهاد النفس أعمال تعملها النفس المزكاة، فتزكو بذلك أيضا[1]. فليكن المؤمن إذن دوما على حذر من وساوس الشيطان.

ومن معاني استعمال لفظة "خطوات" أنه يجب على المسلم، أن يحذر من إتباع الشيطان في أول خطوة، لأن الشيطان يتدرج في إغوائه لبني آدم شيئا فشيئا، خطوة خطوة من سماع قول فيه غيبة للمسلمين إلى الوقوع في الغيبة، ثم إلى سوء الظن، وهكذا معصية صغيرة فأخرى حتى يصل المسلم إلى أن يكون أحد جنود إبليس ينشر الشر مثله.

رابعا: التوجيه بالكناية: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

في الآية الكريمة تعليم للمسلم أحد آداب زيارة الغير، أن لا يدخل حتى يستأنس ويسلم على أهل البيت بعد الدخول. وفي هذا الأدب ما يقي المسلم من التفكير في الانحراف. إن هو دخل من غير هذا الأدب. إذ قد يرى ما يدعوه إلى الفاحشة. فكان هذا من باب سد الذرائع.

[1] الزهد والورع والعبادة: ابن تيمية، ت: حماد سلامة، ص(6-4)، شركة الشهاب، الجزائر.
[2] النور 27.

وفي قوله تعالى: ﴿حتى تستأنسوا﴾ في هذا التعبير كناية. حيث أطلق (فيها اللازم وهو الإستئناس، وأريد ملزومه الذي هو الإذن يصير المعنى: حتى تستأذنوا. قال الزمخشري: هذا من باب الكناية و الإرداف، لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن).[1]

ولا شك أن ذكر لفظ" تستأنسوا" أبلغ من لفظ (تستأذنوا) وإن كان من معانيه ومقتضياته، فلفظ "تستأنسوا" فيه معنى الأنس، فالزيارة إنما تكون للإيناس الذي هو ضد الإيحاش، فعلى الزائر أن يأنس به أهل البيت، فليحسن اختيار الوقت، واختيار طريقة الدخول والقعود و الكلام وحتى الانصراف.

جاء في (التحرير والتنوير):" حتى تستأنسوا " أي تطلبوا أن يأنس بكم صاحب البيت، وأنسه به انتفاء الوحشة والكراهية، وهذا كناية لطيفة عن الاستئذان، أي يطلب إذنا من شأنه أن لا يكون معه استيحاش رب المنزل بالداخل. قال ابن وهب: قال مالك: الاستئناس فيما نرى والله أعلم الاستئذان. يريد أنه المراد كناية أو مرادفة فهو من الأنس[2]. وجاء في (التفسير الوسيط): حتى " تستأنسوا ": من الإيناس بمعنى الاستعلام والاستكشاف فهو من آنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا. . ويصح أن يكون من الاستئناس الذي هو ضد الاستيحاش، لأن الذي يقرع باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا، فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه، فإذا أذن له أهل البيت في الدخول زالت وحشته، ودخل وهو مرتاح النفس، وعلى هذا يكون الكلام من باب المجاز، حيث أطلق اللازم وهو الاستئناس، وأريد الملزوم وهو الإذن بالدخول[3].

فهو أدب رفيع، الاستئناس على المسلم التأدب به في كل زيارة، فيأنس ويؤنس، فلا ينبغي له (أن يكون كلاً على غيره، ولا ينبغي له أن يعرّض نفسه إلى الكراهية والاستثقال)[4]

وبهذا الأدب وغيره من الآداب تكون الأخوة الإسلامية وتستمر ويتوحد المجتمع المسلم ويتقوى.

---

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، الشنقيطي، ج6، ص167، طبع و توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية، الرياض السعودية.

[2] التحرير والتنوير: ج18، ص167.

[3] التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د محمد سعيد طنطاوي، م10، ج18، ص52، مطبعة السعادة شارع جواد حسني، القاهرة.

[4] التحرير والتنوير: ج18، ص167.

خامسا: الكناية التصويرية: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.[1]

تحدثنا من قبل في الفصل الأول، في شأن هذه الآية ورأينا أنها اشتملت علة تشبيه تمثيلي، وفي الآية صورة بيانية أخرى، نورد الحديث عنها في هذا الفصل.

والمعنى العام للآية الكريمة، أن الكافرين لا تنفعهم أعمالهم في الآخرة وإن كانت حسنة، بله أن تكون سيئة، وذلك بسبب الكفر، وأنهم يشبهون في ذلك، الماشي في صحراء وقد أدركه الظمأ، فرأى سرابا حسبه ماء، فلما جاءه لم يجد شيئا بل ازداد ظمأه وهلك.

والتعبير في الآية فيه كناية، بأن الأعمال وإن حسنت إن لم تصدر عن إيمان بالله وتوحيد له، فلا وزن لها عند الله. يقول ابن القيم رحمه الله: جعل الله سبحانه السراب بالقيعة – وهي الأرض القفراء الخالية من البناء والشجر والنبات والعالم – فجعل السراب أرض قفر لا شيء بها، والسراب لا حقيقة له وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الإيمان والهدى[2]. وفي (التفسير الكبير): قوله تعالى﴿لم يجده شيئا﴾ يحتمل وجوها ثلاثة: الأول: المراد معناه أنه لم يجده شيئا نافعا كما يقال فلان ما عمل شيئا وأن كان قد اجتهد. الثاني: ﴿حتى إذا جاءه﴾ أي جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئا فاكتفى بذكر السراب عن ذكر موضعه. الثالث: الكناية للسراب لأن السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كأنه ضباب وهباء وإذا قرب منه رق وانتشر وصار كالهواء.[3]

فالتعبير بأن أعمال الكافر غير نافعة إياه في الآخرة، وهي تشبه عدم انتفاع الظمآن بالسراب تعبير بليغ، إذ يوحي بأن الإيمان شرط أساس في قبول الأعمال.

---

[1] النور 39.
[2] التفسير القيم: الإمام ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، ص 386، دار العلوم الحديثة، بيروت، لبنان.
[3] التفسير الكبير: ج24، ص08.

سادسا: الإيحاء في الكناية: قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .[1]

في الآية الكريمة، دعوة لأولياء الأمور، ليؤدبوا أولادهم على الاستئذان في البيت داخل الأسرة، في أوقات مخصوصة، لينشأ الأولاد على العفة وحسن الخلق، هذه الأوقات التي تكون فيها العائلة عموما في حالة نوم أو استرخاء، مما يؤدي إلى تكشف مالا يجوز للطفل رؤيته، وهذا من باب سد الذرائع ﴿ من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ﴾ .

وقد سمى الله تعالى في كل مرة من هذه المرات الثلاثة عورة ﴿ ثلاث عورات لكم ﴾ ، وذلك (لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها ، والعورة الخلل ومنه أعور الفارس وأعور المكان والأعور المختل العين) .[2]

وفي (روائع البيان): إطلاق العورات على الأوقات الثلاثة التي يكثر فيها التكشف للمبالغة حتى كأن هذه الأوقات هي نفسها عورات، والجملة مسوقة لبيان علة وجوب الاستئذان فكأن الله تعالى يقول هذه هي أوقات ظهور العورات فلا تدخلوا إلا بعد الاستئذان وفي التعبير من المبالغة ما فيه.[3]

وفي (روح البيان): سميت الأوقات المذكورة عورات مع أنها ليست نفس العورات بل هذه أوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم المكان الذي يقع فيه مبالغة في كونه محلا له.[4]

فالتعبير فيه كناية، فهذه الأوقات الثلاثة، أوقات تكشف ورب ظهور العورات، فجيء بلفظ عورات للتنبيه على وجوب تعليم الأولاد أدب الاستئذان.

---

[1] النور 58.
[2] تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي الغرناطي، ج6، ص472، ط2(1403هـ 1983م)، دار الفكر، بيروت.
[3] روائع البيان: ج2، ص208.
[4] تفسير روح البيان: م6، ص175.

ويستفاد من الآية (أن المميز غير البالغ يعود على الأدب والنظام والانضباط والإعداد لتحمل المسؤولية والتكاليف الشرعية)[1] . فيجب على الأولياء أن يحسنوا تدبير أمور أولادهم في التوجيه.

المبحث الثاني: التعريض:

أولا: التوبيخ بالتعريض: قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[2].

هذه الآية الكريمة، من جملة الآيات التي نزلت بشأن عائشة رضي الله عنها لتبرئتها، مما رماها به أهل الإفك من المنافقين، وبعض ضعاف الإيمان.

وفي الآية توجيه للمؤمنين إلى حسن الظن بالمؤمنين، كل المؤمنين، ناهيك أن يكونوا من الخواص، ومن بيت النبوة، والتعبير في الآية فيه (تعريض بأن ظن السوء الذي وقع هو من خصال النفاق التي سرت لبعض المؤمنين عن غرور وقلة بصارة فكفى بذلك تشنيعا له، وهذا توبيخ على عدم إعمالهم النظر في تكذيب قول ينادي حاله ببهتانه وعلى سكوتهم عليه وعدم إنكاره) .[3]

فالإفك الذي هو(أخبث أنواع الكذب و الأباطيل المختلقة)[4]. واضح زيفه، ذلك أنه من مصدر المنافقين، واتجاه أطهر البيوت، بيت النبوة، وفي التعبير انتقال من الخطاب إلى الغيبة ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون﴾ فلم؟ عدل عن الخطاب إلى الغيبة (ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب)[5]. وقال أحمد: و السر في هذا التعبير

[1] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة الزحيلي، ج17، ص295، ط1 (1417هـ - 1991م)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
[2] النور 12.
[3] التحرير والتنوير: ج 18، ص 175.
[4] معجم الألفاظ الأعلام القرآنية : محمد اسماعيل ابراهيم، ص40، دار الفكر العربي، القاهرة .
[5] الكشاف: ج3، ص53.

تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن يذكره بسوء، وتصوير ذلك بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة ولا شيء أشنع من ذلك.[1]

فالمؤمن إذا يحسن الظن بالمؤمنين، لأن حسن الظن بهم حق من حقوقهم، وإنما يسوء ظن الذين لا يؤمنون فهم منافقون. قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: المسلمون عدول ما لم يظهر منهم ريبة لأنا مأمورون بحسن الظن[2]. فكيف إذا كان هذا المسلم من أفضلهم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

وفي قوله تعالى: "بأنفسهم خيرا" معنا بليغا، وتوجيها رائعا، إنه لم يقل « ببعضهم خيرا»، والمقصود أن المجتمع المسلم يعيش أفراده كجسد واحد، وأن كل واحد يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا كان المؤمن يكره أن يساء الظن به، فكذلك إخوانه المؤمنون، وإذا كان وهو بريء لا يشك في براءته، فكذلك لا يشك في براءة المؤمنين من حوله، إذا اتهمهم منافقون.

ثانيا: التحذير بالتعريض: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[3]

ماذا صنع المنافقون بإفكهم هذا ؟ وما الذي صنعوه من فتنة داخل المجتمع المسلم؟ لقد جاءوا بشيء عظيم، حيث اختلقوا الإفك، وطعنوا في شرف زوجة الرسول عليه السلام، ولذلك كانت الآيات عدة، وكانت الأساليب شتى لإبطال كيدهم، وتشنيع فعلتهم، وتوبيخ ضعاف الإيمان ممن خاضوا في ما ليس لهم به علم.

هكذا ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ وصل الخبر ونقل وانتشر، فصار حديث الكل من غير روية وتمحيص للحقيقة، وفي التعبير(تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبر فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا ترو ولا تريث، وهذا تعريض بالتوبيخ أيضا)[4]. قال قتادة ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ أي: يرويه بعضكم عن بعض[1]. ويقول الأستاذ

[1] الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال: ج3، ص53.
[2] التفسير الكبير: ج23، ص178.
[3] النور 15.
[4] التحرير والتنوير: ج18، ص177.

عبد الكريم الخطيب: وإنه لإعجاز من إعجاز القرآن الكريم هذا التصوير المعجز لشائعات السوء حين تجد من الناس آذانا مصغية إليها ونفوسا مستجيبة لها . . إنها حينئذ تنطلق في سعار وجنون، بحيث لا تدع للناس فسحة من الوقت يتلقونها بآذانهم، ثم يديرونها في عقولهم ومشاعرهم، ليكون لهم خيار في قبولها أو ردها[2].

والمؤمن ليس هذا شأنه وخلقه فيما يسمع من أخبار، وخاصة التي فيها مساس بشرف المؤمنين بل المؤمن وقاف عند حدود الله وأوامره، فهو إذن يتبين إن كان ولا بد من معرفة الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ . . ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وتقولون بأفواهكم﴾ في التعبير معنى بليغ، فمعنى بأفواهكم أي (تلوكونه وتديرونه فيها من غير علم لأن الشيء المعلوم يكون في القلب ثم يعبر عنه باللسان وهذا الإفك ليس محله إلا الأفواه)[4]. وهذا أيضا من التعريض، فهؤلاء الذين خاضوا في الإفك، ونقلوه الواحد تلو الآخر بلا روية، إنما فعلوا ذلك بلا علم، فهم جاهلون وهكذا نقل الخبر، وخاصة الذي فيه طعن في شرف المؤمنين دونما تبين فيجعل صاحبه من الجاهلين.

وفي قوله تعالى " وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم" معان بليغة، لها ارتباط بما قبلها في قوله تعالى: " تلقونه بألسنتكم" فهؤلاء المنافقون وضعاف الإيمان، الذين حرصوا على سماع خبر الإفك، بقصد نشره بين الناس، وليس لمجرد المعرفة والتبين، إنما فعلوا ذلك لظنهم أن هذا ليس ذنبا عظيما يحاسب عليه الله تعالى، ومعنى ذلك أن الإنسان قد يرتكب الذنوب، إذا نظر إليها، فاعتقد أنها صغيرة، والصغائر بلا إصرار تغتفر، ولو أنه جعل حسابا إلى من عصى وهو الله تعالى، لكان على حذر من كل ذنب " ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره".

---

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور : الإمام جلال الدين السيوطي، ج05، ص24، دار المعرفة، بيروت، لبنان

[2] التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب، م05، ج(17-20)، ص1244، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان .

[3] الحجرات 06.

[4] تفسير النهر الماد من البحر الميط: أبو حيان الأندلسي، تقديم وضبط بوران الضناوي وهديان الضناوي، ج02، ص538، ط01 (1407هـ - 1987م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

ثالثا: التبرئة بالتعريض: قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1]

اختلف العلماء في تحديد معنى الخبيثات و الطيبات هل هي الأفعال والأقوال؟ أم هي راجعة إلى الرجال والنساء ؟

يقول الأستاذ المراغي:أي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال لا يتجاوزونهم إلى غيرهـــم والخبيثون من الرجال إلى الخبيثات من النساء لأن المجانسة من دواعي الألفة ودوام العشرة.[2]

وفي (روح البيان): المعنى: أن الخبيثات من القول إلى الخبيثين من الرجال والنساء أي مختصة ولائقة بهم. . وكذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول، والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين أي مختصة وحقيقة بهم، وكذا الطيبون من الفريقين أحقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلم أولئك الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصالحين أيضا .[3]

يقول الشيخ محمد نووي: النساء الخبيثات مختصات بالرجال الخبيثين، والخبيثون لائقون بالنساء الخبيثات، ويقال المقالات الخبيثة من القذف مختصة بالخبيثين من أهل الإفك من الرجال والنساء، ويقال: المقالات الخبيثة من اللعن والذم ونحو ذلك مختصة بهم[4]. و(في الكشاف): وهو مثل جاري مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب[5].

وسواء كان المراد بالخبيثات والطيبات الأقوال أو الناس رجالا ونساء، أو هما معا، فإن التعبير فيه تعريض بالمنافقين.

---

[1] النور 26.
[2] تفسير المراغي: الأستاذ أحمد مصطفى المراغي، م6، ج16، ص92.
[3] تفسير روح البيان:ج06، ص136.
[4] التفسير المنير لمعالم التنزيل عن وجوه محاسن التأويل: الشيخ محمد نووي الجاوي، ج02، ص79، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
[5] الكشاف: ج03، ص58.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جاء في (التحرير والتنوير): هذا من الاستدلال على حال الشيء بمجال مقارنة ومماثلة، وفي هذا تعريض بالذين اختلقوا الإفك بأن ما أفكوه لا يليق مثله إلا بأزواجهم، فقوله "الخبيثات للخبيثين" تعريض بالمنافقين المختلقين للإفك[1].

وهكذا تعددت الصور من الاستعارة إلى الكناية إلى التعريض، وكلها وبتعبير رائع بليغ تحقق معنى براءة عائشة رضي الله عنها مما رميت به.

رابعا: التربية النفسية بالتعريض: قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2].

في الآية الواردة حديث عن آداب الزيارة ﴿لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا . . .﴾[3] وقد رأينا أهم ما ورد فيها من معاني وصور بيانية، وهذه الآية إرداف عليها وتكميل لها في المعاني.

والمعنى العام الوارد فيها، هو عدم الدخول إلى بيت عند الزيارة إلا بعد الإذن، وإن تعذر ذلك وطلب أهل البيت من الزائر الرجوع، فليرجع إلى حين أن تتهيأ الظروف، يرجع وهو رضي النفس مطمأن البال، وقد قيل له ارجع، نعم هو كذلك لأنه مؤمن بالله، والله ربه أمره بأن يستأنس عند الزيارة، أي يطلب الأنس به، فلا يكون محرجا لأهل البيت المزورين، والله ربه نفسه الذي أمره أن يرجع إذا قيل له ارجع وهو رضي النفس، وهو إن فعل هذا كان أزكى له وأفضل من الدخول مع الحرج ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ فالرجوع إذن (أطهر لكم مما لا يخلوا الإلحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة وأنفع لدينكم ودنياكم)[4].

وهذا التشريع للرجوع، إن طلب المزور من الزائر ذلك دونما تحرج ولا تضايق، إنما هو تشريع العليم الحكيم ﴿والله بما تعملون عليم﴾ وهذا الجزء الأخير من الآية، تذييل لهذه الوصايا، بتذكيرهم بأن الله عليم بأعمالهم،

---

[1] التحرير والتنوير: ج18، ص194.
[2] النور 28.
[3] النور 27.
[4] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: الإمام أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، ص163.

ليزدجر أهل الإلحاح عن إلحاحهم بالتثقيل، وليزدجر أهل الحيل أو التطلع من الشقوق ونحوها، وهذا تعريض بالوعيد لأن في ذلك عصيانا لما أمر الله به، فعلمه به كناية عن مجازاته فاعليه بما يستحقون)[1].

وأيهما أفضل: أتفتح لهم باب ويوسع لهم في المجلس لكن مع الحرج والتضايق، أو يقال له إن الظروف لا تسمح فأعذرنا ولتعد غدا مثلا؟ لا شك أن الرجوع أفضل من الدخول، ومن المقاصد التربوية الواردة، هو أن يتعامل أفراد المجتمع المسلم على أساس الصراحة لا التحرج، وهذا يحصل إذا وجد الإيمان الصادق بالله تعالى، والالتزام الصحيح بدينه.

خامسا: التربية الاجتماعية بالتعريض: قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

العلاقة بين المرأة والرجل منظمة في الإسلام، تبدأ بالزواج وتستمر منظمة وفق قاعدة الحقوق والواجبات، التي شرعها الله تعالى، أيما علاقة تنشأ خارج إطار الشرع الإلهي، فهي علاقة مرفوضة وتستحق العقوبة لأنها تضر ولا تنفع.

صحيح أن بعض الناس لا يقدرون لظروف معينة على إنشاء علاقة شرعية (الزواج)، فهل هذا يبيح لهم إنشاء أي علاقة ولو خارج قواعد الشرع؟ كلا بل ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله﴾.

[1] التحرير والتنوير: ج18، ص201.
[2] النور 33.

وإذا كانت أية علاقة بين الجنسين مرفوضة، إن لم تكن وفق قواعد الشرع، ولو مع الموافقة والتراضي، فكيف بالإكراه على إنشاء هذه العلاقة السيئة؟! إنه مرفوض بل ويستحق الوعيد والعقوبة ﴿و لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا﴾ ففي الآية (تعريض بالوعيد للذين يكرهون الإماء على البغاء)[1]. وهذا يتناسب مع سبب نزول هذه الآية، فعن الحسن بن محمد عن حجاج عن ابن جريج قال :أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول : جاءت مسيكة -أمة لبعض الأنصار- فقالت : إن سيدي يكرهني على البغاء، فأنزل الله عز وجل ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ .[2] وقيل: أن رجلا من قريش أسر يوم بدر، وكان عند عبد الله بن أبيّ بن سلول أسيرا، وكانت لعبد الله بن أبيّ جارية يقال لها معاذة فكان القريشي الأسير يريدها على نفسها، وكانت مسلمة، فكانت تمتنع منه لإسلامها، و كان ابن أبي يكرهها و يضربها رجاء أن تحمل للقرشي فيطلب فداء ولده فقال تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ قال الزهري ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ قال: غفر لهن ما أكرهن عليه[3].

في قوله تعالى : ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا﴾ إشارة إلى أن الإكراه على البغاء مرفوض لمن تبتغي التحصن بالزواج، أما التي لا تريد ذلك فالأمر مختلف، فهل هذا هو المعنى؟ كلا بل إن الإكراه على الزنا مرفوض في كل الحالات، بل إن الزنا وبغير إكراه مرفوض، فالشرط المذكور في الآية ﴿إن أردن تحصنا﴾ لأن (الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن، وأصل الطبيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمره إكراها، وكلمة "إن" وإيثارها على "إذا" إيذانا بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وأن ما وجد من معادة ومسيكة من حيز النادر الشاذ)[4]. وقال أحمد: لأن الإكراه لا يكون إلا إذا أردن تحصنا، ولا يتصور إلا كذلك، إذ لولا ذلك لكن مطاوعات وفائدة ذلك أن يبشّع عند المخاطب الوقوع فيه، لكي يتيقض أنه كان ينبغي له أن يأنف

---

[1] التحرير و التنوير :ج18، ص 228.
[2] تفسير النسائي:الإمام أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بنعلي النسائي، ت: صبري بن عبد الخالق الشافعي و سيد بن عباس الجليمي، ج2، ص124، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، لبنان.
[3] تفسير القرآن العزيز : الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت:د.عبد المعطى و أمين قلعجي، ج2، ص50، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
[4] الكشاف: ج3، ص66 .

من هذه الرذيلة، وإن لم يكن زاجر شرعي ووجه التبشيع عليه أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه، لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو يأبى إلا إكراهها عليها، ولو أبرز مكنون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه، وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية فكيف بالنفوس العربية[1].

فما أقبح الإنسان أي إنسان، أن ينزل إلى هذه الدركة من السوء، فيكره من آثرت العفاف على الوقوع في الرذيلة طمعا في أي شيء؟ طمعا في عرض من الدنيا قليل.

وفي قوله تعالى: ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ﴾

دعوة إلى العفة، وفي هذه الدعوة (تربية نفسية كريمة، تقوي في نفوس الشباب الإرادة، وترسخ في قلوبهم العزيمة، وتمنحهم دائما الطمأنينة والاستقرار، ومن وسائل العفة: الاستمرار في صوم النفل، الابتعاد عن المثيرات الجنسية، ملء الفراغ بما ينفع، الرفقة الصالحة...)[2].

فالمجتمع المسلم إذن مبني على العفة لا على السوء والفوضى الجنسية.

سادسا: التوجيه بالتعريض:

أ- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3]

في الآية الكريمة بيان لأهم ما يتصف به المؤمنون الصادقون، إنه الانقياد المطلق لأوامر الله دون تردد ﴿ سمعنا وأطعنا ﴾ أي (سمعنا قولك وأطعنا أمرك)[4]. وهذا هو أدبهم مع الله دائما لا غير، كما هو مقتضى لفظ "إنما" التي تفيد التوكيد والحصر. فهم (إذا دعوا إلى حكم الله و حكم رسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا ما قيل لنا وأطعنا من دعانا إلى ذلك)[5]. وهذا يتوافق مع قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

[1] الإنتصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال: ج03، ص66.
[2] تربية الأولاد في الإسلام: عبد الله ناصح علوان، ج2، ص181، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.
[3] النور 51.
[4] الجواهر في تفسير القرآن الكريم: الشيخ طنطاوي جوهري، ج12، ص98، ط2(1350هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
[5] تفسير الطبري: م8، ج18، ص120.

فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾[1]. ويستفاد من هذا أنه (يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس من الدين كله إلى الله ورسوله لا أحد غير الله ورسوله فمن أحال الرد على غيرهما فقد ضاد أمر الله ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله فقد دعا بدعوى الجاهلية فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله[2]. وقال السيوطي في الإكليل:فيها وجوب الحضور على من دعي لحكم الشرع وتحريم الامتناع واستحباب أن يقال: سمعنا وأطعنا[3].

وهذه الآية ﴿إنما كان قول المؤمنين. . . ﴾، فيها تعريض بالمنافقين الذين ﴿يقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾[4]. فهم(ينتسبون إلى الإيمان قولا، ويرفضون تنفيذ مقتضاه عملا، وبذلك يسيئون إلى المؤمنين الصادقين بعد إساءتهم إلى أنفسهم[5].

جاء في (التحرير والتنوير): ﴿إنما كان قول المؤمنين. . . ﴾ جيء في وصف المؤمنين بالفلاح بمثل التركيب الذي وصف المنافقون فيه بالظلم بصيغة القصر المؤكد ليكون الثناء على المؤمنين ضد المذمة للمنافقين تاما، وأعلم أن القصر المستفاد من هنا قصر إفراد لأحد نوعي القول فالمقصود منه الثناء على المؤمنين برسوخ إيمانهم وثبات طاعتهم في المنشط والمكره. . ، وفيه تعريض بالمنافقين إذ يقولون كلمة الطاعة ثم ينقضونها بعضها من كلمات الإعراض والارتياب[6].

فإذا أراد المسلمون اليوم أن يحقق الله لهم مرادهم، فليقولوا سمعنا وأطعنا بالقول والفعل ولا يكونوا كالذين نافقوا فأخزاهم الله.

ب – قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[7].

---

[1] النساء 59.
[2] زاد المهاجر إلى ربه: ابن قيم الجوزية، ص37، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
[3] تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي، م07، ج11، ص226، ط2(1398هـ -1978م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
[4] النور 47.
[5] مع الله في صفاته وأسمائه: حسن أيوب.ص25 دار الشهاب باتنة الجزائر.
[6] التحرير والتنوير: ج18 ص275.
[7] النور 50.

في الآية التي وردت قبل هذه الآية، ورد الحديث عن صفات المؤمنين الصادقين، ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾[1]. وفي هذه الآية حديث مقارب لذلك ﴿ومن يطع الله ورسوله. . . ﴾، ففي الكلام إطناب وذلك (ليحصل تعميم الحكم)[2].

وقد جيء في الآية بصيغة الحصر (للتعريض بالذين أعرضوا إذا دعوا إلى الله ورسوله وهي على أوزان صيغة القصر التي تقدمتها)[3].

إن الإيمان الذي يصدقه عمل، هو الإيمان الذي يأخذ بأصحابه إلى الفوز، وطاعة المؤمن لربه (شيء يعبر عن مدى إشراق القلب بنور الله واتصاله به، وشعوره بهيبته، كما ينبئ عن عزة قلب المؤمن واستعلائه، فكل طاعة لا ترتكن إلى طاعة الله ورسوله، ولا تستمد منها، هي ذلة يأباها الكريم وينفر منها طبع المؤمن)[4].

وإذا كان المنافقون الذين يقولون سمعنا وأطعنا بأفواههم ويعرضون بأفعالهم عن حكم الله وحكم رسوله، لا قيمة ولا وزن لما قالوا، وأولئك هم الخاسرون. فإن المؤمنين الذين قالوا سمعنا وأطعنا بأفواههم، ثم اتقوا الله فأطاعوه بأفعالهم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾. واستعمال اسم الإشارة (أولئك) وما فيه من معنى البعد (للإيذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل)[5].

إن الإيمان ليس مجرد ادعاء بالقول، بل الإيمان تصديق وتطبيق، استسلام لأمر الله واحتكام لشرعه.

جـ- قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[6].

---

[1] النور 49.
[2] التحرير والتنوير: ج18، ص275.
[3] المرجع نفسه، ج18، ص276.
[4] في ظلال القرآن: ج4، ص2527.
[5] تفسير روح المعاني: م6، ج18، ص198.
[6] النور 56.

في هذه الآية الكريمة بيان لشروط النصر والتمكين في الأرض، وبيان لحال المؤمنين بعد التمكين، كما ذكرت أن الله يعد، وأن وعده حق.

لقد وعد الله جيل الصحابة، وتحقق وعده، حيث أظهر الله (نبيه على جزيرة العرب، ثم إن الله تعالى قبض نبيه صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه)[1].

شرطان أساسيان لتحقيق النصر و بلوغ المجد، ثم التنعم بالأمن والطمأنينة، الإيمان والعمل الصالح ﴿الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض. . . ﴾ وقوله تعالى: «ليستخلفنهم» فيه (تفسير للوعد وتبينا له)[2]، ففي الآية وعد وبيان للموعود. جاء في الكشاف: (وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم فيها خلفاء، وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام)[3]

و الآية تشمل جميع الناس، في كل زمان، فوعد الله عام شامل محيط، فمن آمن وعمل صالحا استخلف ومكن له في الأرض.

وقوله تعالى: ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ أي (هذا الوعد جرى في حال عبادتهم إياه. وفي هذه الحال إيذان بأن ذلك الوعد جزاء لهم. أي وعدتهم بهذا الوعد الشامل لهم والباقي في خلفهم لأنهم يعبدونني عبادة خاصة طعن الشرك. وعبر بالمضارع لإفادة استمرارهم على ذلك تعريضا بالمنافقين إذ كانوا يؤمنون ثم ينقلبون)[4].

وإذا كانت الآية فيها تعريض بالمنافقين الذين لا يثبتون على إيمان وصلاح، فإنها تشمل جميع المسلمين إن هم انتصروا ثم انقلبوا، فإن الله خاذلهم.

---

[1] تفسير ابن كثير : ج5، ص120.
[2] البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، م3، ص173، ط3 (1400هـ -1980م)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
[3] الكشاف: ج3، ص73.
[4] التحرير والتنوير :ج18، ص288.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة:

بعد هذه الرحلة المباركة التي تناولنا فيها (الصورة البيانية في سورة النور) لابد من ذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها، حتى لا تضيع دراستنا سدى، ولأجل فتح آفاق لدراسات أعمق وأشمل للصورة البيانية في القرآن الكريم ككل.

وقبل أن أذكر النتائج هناك ملاحظة هامة سجلتها بعد الانتهاء من البحث هي أن في لغة القرآن طاقة عظيمة، إذا وجد من يقدر على تفجيرها أفاد كثيرا، هي أنني كلما ظننت أني جئت على معاني الآية كلها، وأنني أتيت بأبعاد الصورة البيانية جميعها، فإذا أنا أمعنت النظر من جديد تجددت الأفكار، ولاحت معاني أخر.

وهذا معناه أن الصورة البيانية في القرآن الكريم لها أبعاد كثيرة مختلفة ومتكاملة، ولذلك فإن بحثا واحدا لا يكفي لتفجير الطاقة الكامنة في لغة القرآن معنى ولفظا وأسلوبا، وربما كان من الأنسب أن يكون البحث في جانب من جوانب الصورة البيانية فحسب، كالبحث في التشبيه وأبعاده أو المجاز أو الكناية مع محاولة ذكر جميع الأبعاد المختلفة.

أما أهم النتائج التي توصلنا إليها:

-عرفنا أن اختلاف الفقهاء والعلماء في كثير من الأحكام والأفكار، المستنبطة من القرآن الكريم، راجع إلى الأسلوب البلاغي الذي جاء به القرآن الكريم، أي راجع إلى طبيعة اللغة العربية التي نزل بها، فقوله تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . . .﴾ كما رأينا في الفصل الأول قد اختلف في تحديد معنى "نوره" إلى أي شيء يعود الضمير، القرآن أم الرسول عليه السلام أم الإيمان الذي في قلب المؤمن. واختلفوا في تحديد المعاني التي ترمي إليها أجزاء المشبه به (المشكاة، المصباح، الزجاجة وغيرها . فابن قيم الجوزية يرى أن في الآية مثل لقلب المؤمن،

وأنه يشبه في صفائه وصلابته وقوته الأجزاء المذكورة في المثل. وأبو حامد الغزالي يرى أنها تشير إلى القوى العقلية، وأنها مراتب والتي بها تدرك العلوم. وأنت ترى أن في هذا الاختلاف، معاني كثيرة مختلفة ومتكاملة ذات أهمية. فماذا لو كان الأسلوب غير هذا، ليس فيه صورة بيانية بهذا الشكل؟.

-كما تأكد لدينا انه لا يفهم القرآن الكريم من لا يفهم لغته، ورحم الله الإمام مالك إذ كان يقول: لا أوتي إلي بمفسر للقرآن لا يعرف لغة العرب إلا جعلته نكالا. فانظر إلى قوله تعالى ﴿ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا . . . ﴾ فاختيار لفظة "تستأنسوا" لها أبعاد هامة ومعان جمة، ما كانت لتستنبط لو جيء بلفظة "تستأذنوا"، فتستأنسوا توحي بالأنس، يأنس الزائر والمزور، ولا يحصل الأنس الذي هو عكس الايحاش إلا بتوفير جملة من الآداب والشروط. وقد بينا ذلك في الفصل الثالث عند الحديث عن التوجيه بالكناية.

-عرفنا انه باستعمال هذا الأسلوب البلاغي، يبقى القرآن الكريم، صالحا لكل زمان ومكان، بما حوى هذا الأسلوب البلاغي، من قدرة على إعطاء معان تتماشى وكل عصر وظرف، مصداق قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ففي أول آية من سورة النور، وفي قوله تعالى "وفرضناها" بلا تشديد أي: أوجبنا العمل بها وبالتشديد "فرّضناها" أي: جعلنا فيها فرائض شتى، وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم إلى يوم الدين. فمن أبعاد لفظة فرضناها أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، مادامت هذه الفرائض واجبة على الصحابة وعلى من بعدهم إلى يوم الدين.

-توصلنا إلى أن القول بأن الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم، هو أحد أوجه الإعجاز في القرآن صحيح فلا يأتي بمثل هذا الأسلوب، إلا إله عليم خبير. هل تريد أن تعرف حال الكافرين في الدنيا من اضطراب في الفكر، وقلق في النفس وشقاء في الحياة حتى وإن ظهروا بغير هذا؟ وعليه تؤمن ولا تكفر، توالي المؤمنين لا الكافرين، تتمسك بالقرآن ولا تعرض عنه. اقرأ قوله تعالى: ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج

من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ﴾ . هل هناك أسلوب أرقى وأفضل وأبلغ من هذا ؟ واقرأ قوله تعالى: ﴿ إذ تلقونه بألسنتكم ﴾ فخبر الإفك الذي جاء به المنافقون، الأصل أن تتلقاه الأسماع، فلما القول "تلقونه بألسنتكم" ؟ إنه أسلوب بليغ، يشير إلى معاني رائعة، ويعطي أبعادا هامة، منها التعريف بنفسية المنافقين، التي انطوت على الكراهية للمؤمنين والحقد على الإسلام فهم يسمعون الإفك وغرضهم نشره، فجاء التعبير متماشيا مع مقصدهم، وقد بيّنا ذلك في الفصل الثالث عند الحديث عن التحذير بالتعريض.

-لقد توصلنا أيضا إلى أن الصورة البيانية في القرآن الكريم (التشبيه والمجاز والكناية) لم تأت عرضا، وإنما جاءت لتعطي معاني قيّمة، فيها حلول لكل المشكلات، وإجابة على كل التساؤلات، وأن لها أبعادا تربوية هامة، وقد رأينا ذلك في البحث كله، وخاصة في الفصل الثالث، عند ذكر البعد التربوي في الكناية، والتوجيه بالكناية، وعند ذكر التربية الاجتماعية بالتعريض وغير ذلك.

وخلاصة القول، أن الدراسة البيانية للقرآن الكريم لا تزال ذات أهمية في حياة المسلمين، وأنه على الباحثين والمتخصصين في الدراسات القرآنية، أن يولوا اهتماما بالغا بلغة القرآن، ومن ذلك الصورة البيانية (التشبيه، الاستعارة، الكناية. . .)، فيبحث في أبعادها المختلفة، ليس في صورة واحدة، ولكن في القرآن كله، ويكون هدف البحث في الصورة البيانية، إرشاد المسلم إلى معاني صحيحة، وتوجيهه التوجيه الحسن، وفق قواعد تربوية سليمة، ليحيى حياة فيها نور لا ظلام " نور على نور " .

ولنا أمل أن الصعاب ستذلل، وأن آفاقا ستفتح، لنكمل بحثنا ودراستنا في القرآن الكريم، في جانب الصورة البيانية والتعمق خاصة في أبعادها ودلالاتها، بما يمكننا من فهم صحيح ودقيق وشامل للقرآن الكريم، وبما يعين على وضع منهج تربوي منطلقه القرآن الكريم، و لئن ظهر في البحث نقص، فعذرنا أننا قدمنا ما نملك من طاقة وجهد، ونرجو من الله أن ينفع به. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا . .واعف عنا واغفر لنا وارحمنا .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكـــريم برواية حفص.

1. " إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم " المسمى: تفسير أبي السعود: الإمام أبو السعود محمد بن محمد، دار المصحف، القاهرة.

2. إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي، دار الثقافة، الجزائر.

3. أساس البلاغة: الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

4. أسباب النزول: الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، قصر الكتاب، القاهرة.

5. أسرار البلاغة: الإمام عبد القاهر الجرجاني ت- محمد الفاضلي، ط1 (1419هـ - 1989م) المكتبة العصرية صيدا، بيروت.

6. الإسلام والجنس: فتحي يكن، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.

7. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. الشنقيطي. طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية، الرياض ، السعودية .

8. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي ط9 (1393هـ - 1979م) دار الكتاب العربي ،بيروت ، لبنان.

9. إعجاز القرآن: أبو بكر الباقلاني، ت: أحمد صقر، ط3، دار المعارف، مصر.

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

10 . إعجاز القرآن: الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، ط 2(1395هـ-1975م) دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت، لبنان .

11 . الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: الإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان .

12 . أنوار التنزيل وأسرار التأويل: الإمام أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر بيروت .

13 . أيسر التفاسير لكلام العلي القدير: أبو بكر جابر الجزائري. ط4 (1412هـ - 1992م) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية .

14 . الإيضاح في علوم البلاغة: الإمام الخطيب القزويني، ت.د . محمد عبد المنعم خفاجي، ط5 (1400 هـ - 1980م) دار الكتاب اللبناني، بيروت.

15 . البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.ط 1400هـ - 1980م) . دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت .

16 . بيان إعجاز القرآن: الإمام أبوسليمان محمد بن أحمد بن إبراهيم الخطابي (ت 388 هـ) شرح وتعليق: عبد الله الصديق: ط1 (1372 هـ) .دار الفكر، بيروت .

17 . البيان في ضوء أساليب القرآن. د .عبد الفتاح لاشين . ط (1985م) . دار المعارف القاهرة.مصر .

18. تاريخ الطبري أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ط1 (1407هـ) دار الكتب العلمية بيروت.

19. التبيان في علوم القرآن: الشيخ محمد علي الصابوني ط3 (1407هـ - 1986م) مكتبة الرحاب الجزائر.

20. تربية الأولاد في الإسلام: عبد الله ناصح علوان دار الشهاب باتنة الجزائر

21. تربيتنا الروحية: سعيد حوى، مكتبة رحاب، الجزائر.

22. التعبير الفني في القرآن: بكري شيخ أمين: ط4 (1400هـ - 1980). دار الشروق بيروت.

23. تفسير البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّاك الأندلسي الغرناطي. ط2(1403هـ- 1983م). دار الفكر بيروت.

24. التفسير البياني للقرآن الكريم: د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء.ط2 (1338هـ - 1968م).. دار المعارف. مصر.

25. تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي/جلال الدين المحلى، .د محمد الصادق القمحوي، مكتبة رحاب، الجزائر.

26. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ط2 (1398هـ -1978م) دار الفكر، بيروت، لبنان.

27. تفسير القاسمي: القاسمي، ط2 (1398 هـ - 1978م). دار الفكر بيروت.

28. تفسير القرآن العزيز: الإمام أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني.ت:د.عبد المعطي وأمين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قلعجي. دارالمعرفة ،بيروت، لبنان.

29. تفسير القرآن المرتب: د. أسعد أحمد علي، ط1(1399هـ/1989م)، ،دار السؤال للطباعة و النشر، دمشق.

30. التفسير القرآني للقرآن : عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان .

31. التفسير القيم: ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقى، دار العلوم الحديثة ،بيروت.

32. التفسير الكبير: محمد الرازي فخر الدين، ط1 (1401هـ -1981م)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

33. تفسير المراغي: الأستاذ أحمد مصطفى المراغي، ط3 (1394هـ/1974)، ،دار الفكر بيروت.

34. تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ط2، دار المعرفة، بيروت.

35. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د.وهبة الزحيلي، ط1 (1417هـ - 991م) دار الفكر المعاصر ،بيروت، لبنان.

36. التفسير المنير لمعالم التنزيل عن وجوه محاسن التأويل: الشيخ محمد نووي الجاوي ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

37. تفسير النسائي:الإمام أبو عبد الرمان أحمد بن شعيب بنعلي النسائي،ت: صبري بن عبد الخالق الشافعي و سيد ابن عباس الجليمي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت ، لبنان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

38. تفسير النهر الماد من البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تقديم وضبط: بوران الضناوي وهديان الضناوي ط01 (1407هـ - 1987م) مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

39. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: د محمد سعيد طنطاوي. مطبعة السعادة شارع جداووي القاهرة.

40. تفسير روح المعاني: الشيخ أبو الفضل محمود الألوسي. دار الفكر، بيروت. لبنان.

41. تفسير سورة النور: أبو الأعلى المودودي .دار الشهاب باتنة الجزائر.

42. جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري دار الفكر بيروت، لبنان .

43. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق د. عمار طالبي. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

44. الجواهر في تفسير القرآن الكريم: الشيخ طنطاوي جوهري.ط2(1350هـ) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت لبنان.

45. الحيوان: الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط3 (1388هـ - 1969م) دار المعرفة بيروت.

46. دراسات في القرآن: د .أحمد خليل.دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

47. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ، بحث وتقديم: علي أبو رقية. موفم للنشر، لبنان.

48. الذر المنثور في التفسير بالمأثور: الإمام جلال الدين السيوطي دار المعرفة بيروت، لبنان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

49. رأي الدين بين السائل والمجيب د. محمد البهي، دار الفكر بيروت.

50. روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد على الصابوني. مكتبة رحاب الجزائر.

51. زاد المسير في علم التفسير: الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي ط3 (1404هـ - 1984م) المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

52. زاد المهاجر إلى ربه: ابن قيم الجوزية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

53. الزهد والورع والعبادة : ابن تيمية، ت: حماد سلامة شركة الشهاب، الجزائر.

54. صحيح البخاري: الإمام عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخار، عالم الكتب. بيروت. لبنان.

55. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (206هـ-261هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

56. صفوة التفاسير الشيخ محمد علي الصابوني: ط5 (1411 هـ - 1990 م) شركة الشهاب الجزائر.

57. الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ) ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط02، دار الفكر العربي ،بيروت.

58. السيرة النبوية: ابن هشام، ت: طه عبد الرؤوف سعد، م 1، ص 131، ط3 (1418هـ-1998م) دار الحياة، بيروت.

59. في ظلال القرآن: سيد قطب ط15 (1408هـ - 1988م) دار الشروق بيروت، لبنان.

60. قاموس القرآن : الشيخ الحسين بن محمد الدامغاني، ط3 1980 . دار العلم، بيروت.

61. القصص الرمزي في القرآن: محمد محمد حمال، ط5 (1047 هـ - 1987م)، مكتبة رحاب الجزائر.

62. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخواريزمي، دار المعرفة بيروت، لبنان.

63. كيف نتعامل مع القرآن: الشيخ محمد الغزالي، دار الرجاء عنابة، الجزائر.

64. لسان العرب: ابن منظور، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.

65. مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تحقيق الدكتور محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر.

66. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير: الإمام بن باديس، إعداد: د. توفيق محمد شاهين، والأستاذ: محمد الصالح رمضان. دار الفكر للطباعة والنشر.

67. مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان.

68. مختارات من فضائل القرآن: ابن كثير، دار الشهاب، باتنة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

69. مختصر تفسير الطبري: اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني ود. صالح أحمد رضا ط2(1408هـ - 1987م)، مكتبة رحاب، الجزائر.

70. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأسبهاني. ت محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي. ط1 (1696م)، دار الكتب العلمية، بيروت.

71. المصحف الميسر: الشيخ عبد الجليل عيسى، ط5 1391هـ، دار الشروق، بيروت.

72. مع الله في صفاته و أسمائه الحسنى: حسن أيوب، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.

73. معاني القرآن: أبو زكرياء يحي بن زياد الفرء، ط3 (1403هـ - 1983م)، عالم الكتب بيروت.

74. معجم الألفاظ الأعلام القرآنية: محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي ،القاهرة.

75. معجم متن اللغة: الشيخ أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

76. المعقول و اللامعقول في تراثنا الفكري: د. زكي نجيب محمود، ط5 (1993)، ، دار الشروق بيروت.

77. مفتاح العلوم: الإمام أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626 هـ) تحقيق وضبط: نعيم زرزور ،ط2 (1407هـ-1987م)، دار الكتب العلمية ،بيروت.

78. المقدمة: عبد الرحمن بن خلون، دار القلم بيروت ،لبنان.

79. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: أبوحامد الغزالي، تحقيق د. فضلة شحادة، دار الشروق ، بيروت، لبنان.

80. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد و التعطيل : د. أحمد بن إبراهيم بن زبير الثقفي،تحقيق: سعيد الفلاح، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

81. الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي (1411هـ - 1991م). منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــــارس

1- فهرس آيات القرآن الكريم

اسم السورة	الآية	رقمها	الصفحة
البقـــرة	وإن كنتم في ريب . . .	24-23	08
	الله ولي الذين آمنوا . . .	257	35
النســـاء	فإن تنازعتم في شيء . . .	59	103
المـــائدة	قد جاءكم من الله نور . . .	15	37
الأعـــراف	وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين.	21	63
يونـــس	قل فأتوا بسورة مثله . . .	38	06
هـــود	إنه عمل غير صالح.	46	36
	قل فأتوا بعشر سور مثله . . .	13	06
الحجـــر	إنا نحن نزلنا الذكر . . .	09	15
الإســـراء	وإن من شيء إلا يسبح بحمده.	44	76
	قل لئن اجتمعت الإنس . . .	88	05
طـــه	ومن أعرض عن ذكري . . .	124	54
الأنبياء	وجعلنا من الماء . . .	30	80
المؤمنون	أفحسبتم أنما خلقناكم . . .	111	25
النور	سورة أنزلناها . . .	01	58
	ولا تأخدكم بهما . . .	02	67
	والذين يرمون المحصنات.	04	68
	ولولا فضل الله عليكم . . .	10	83

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الذين جاؤوا بالإفك . . .	11	60
لولا إذ سمعتموه . . .	12	95
لمسكم فيما أفضتم .	14	69
إذ تلقونه بألسنتكم . . .	15	61
إن الذين يحبون . . .	19	89
ولولا فضل الله . . .	20	84
لا تتبعوا خطوات . . .	21	64
الخبيثين للخبيثات . . .	26	98
لا تدخلوا بيوتا . . .	27	91
وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا . . .	28	99
وقل للمؤمنات . . .	31	87
وليستعفف الذين لا يجدون . . .	33	100
الله نور السماوات	35	32
والذين كفروا أعمالهم . . .	39	65
ألم تر أن الله . . .	41	74
يقلب الله الليل والنهار	44	77
والله خلق كل دابة . . .	45	80
ويقولون آمنا بالله . . .	47-48-49	69
أفي قلوبهم مرض . . .	50	69
إنما كان قول المؤمنين . . .	51	102
وأقسموا بالله جهد . . .	53	62
وعد الله الذين آمنوا . . .	56	104
ليستأذنكم الذين ملكت . . .	58	94

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	والقواعد من النساء . . .	60	72
	ألا إن لله . . .	64	73
الروم	يعلمون ظاهرا من الحياة . . .	04	55
الأحزاب	وسراجا منيرا	46	37
يس~	وآية لهم الليل . . .	37	78
	لا الشمس ينبغي لها . . .	40	78
سورة الزمر	أفمن شرح الله . . .	22	38
غافر	يعلم خائنة الأعين . . .	19	73
فصلت	كتاب فصلت آياته . . .	03	02
	فإن أعرضوا . . .	13	04
الشورى	وكذلك أوحينا إليك . . .	52	45
الأحقاف	و إذا لم يهتدوا . . .	11	60
الفتح	أشداء على الكفار . . .	29	41
الحجرات	إن جاءكم فاسق . . .	06	97
الملك	إن أصبح ماءكم غورا .	30	36
النجم	و المؤتفكة أهوى .	53	60
الأعلى	الذي خلق فسوى . . .	03-02	35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- فهـــرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
«ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجوا أن أكون أكثرهم تبعا .»	04
***	
« صنفان من أهل النار لم أرهما :قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس . . ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا .»	88
***	
« ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء .»	89

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3ـ فهرس الأشعار

البيت			قائله	الصفحة
نسب كأن عليه من شمس الضحى	*	نورا ومن فلق الصباح عمودا	غير منسوب	34
ترتع ما رتعت حتى إذا ذكرت	*	فإنما هي إقبال و إدبـــــار	الخنساء	36
إقدام عمرو في سماحة حاتم	*	في حلم أصنف في ذكاء إياس	تمام	47
لا تنكروا ضربي له من دونه	*	مثلا شردوا في الندى و الباس	تمام	47
فالله قد ضرب الأقل لنوره	*	مثـــلا من المشكاة و النبراس		
رماني بأمر كنت منه و والدي	*	بريئا ومن أجل الطوّي رماني	غير منسوب	68
كلا قرعنا في الحروب صفاته	*	ففـــــرتم وأطلتم الخـــذلانا	غير منسوب	75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعـات

الموضـوع	الصفحـة
مقدمة:	
التمهيد: مفهوم الدراسة البيانية للقرآن الكريم:	01
أولا: معجزة القـرآن.	03
ثانيا: التحدي و العجـز.	05
ثالثا: الإعجـاز البياني.	09
رابعـا: علم البيـان.	09
خـامسا : الدراسة البيانية للقـرآن الـكريم.	14
المدخـل: التعريـف بسورة النـور:	19
أولا: التسميـة.	20
ثانيا: مكيـة أم مدنيـة.	20
ثالثا: فضلهـا.	21
رابعـا: سبب النـزول.	21
خـامسا:علاقة السـورة بما قبلهـا وما بعدهـا .	25
سـادسا : أغراض السورة.	26
سابعا: خـتام السورة.	30
الفصـل الأول : التشبيه في سورة النـور:	31
المبحث الأول : بلاغة التشبيـه التمثيلي:	32

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: "النور" في آية النور. 34

ثانيا: نور القرآن. 36

ثالثا: آية النور وقلب المؤمن. 41

رابعا: : آية النور "العلم وقوة الإدراك ". 45

المبحث الثاني: التشبيه التمثيلي " معان وأبعاد": 49

أولا: التشبيه باعتبار الزمن. 50

ثانيا: التخيير في التشبيه. 53

ثالثا: علم الدنيا و علم الآخرة. 54

الفصل الثاني: المجاز في سورة النور: 57

المبحث الأول: من أبعاد الاستعارة. 58

أولا: الإستعارة المكنية. 58

ثانيا: اختيار اللفظ المستعار. 67

المبحث الثاني: بين الحقيقة والمجاز. 74

المبحث الثالث: من أبعاد الحذف والإضراب: 82

أولا: فائدة الإضراب. 82

ثانيا: فائدة الحذف 83

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث : الكنـاية والتعريض في سورة النور: 86

المبحث الأول: الكنـاية: 87

أولا: البعد التشريعي في الكنـاية. 87

ثانيا: البعد التربوي في الكنـاية. 89

ثالثا: التحذير بالكنـاية. 90

رابعا: التوجيه بالكنـاية. 91

خامسا: الكناية التصويرية. 93

سادسا: الإيحاء في الكناية. 94

المبحث الثاني: التعريض: 95

أولا: التوبيخ بالتعريض. 95

ثانيا: التحذيـر بالتعريض. 96

ثالثا: التبرئة بالتعريض. 98

رابعا: التربية النفسية بالتعريض. 99

خامسا: التربية الاجتماعية بالتعريض. 100

سادسا: التوجيه بالتعريض. 102

الخاتمة : 107

قائمة المصادر و المراجع. 110

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس: 119

1- فهرس الآيات. 120

2- فهرس الأحاديث. 123

3- فهرس الأشعار. 124

4- فهرس الموضوعات. 125

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية